إدارة الدعوة والتعليم
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكم

الفتنة

(معناها، والحكمة منها، في ضوء الكتاب والسنة)

بقلم الدكتور:

إبراهيم بن عبدالله الدويش

السنة الثالثة والعشرون العدد: (٢٢١) العام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الفتــــنة

(معناها ، والحكمة منها ، في ضوء الكتاب والسنة)

بقلم

د. إبراهـيم بن عبــد الله الدويش

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

أبيض

مقدمة :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣)(٤).

---

(١) سورة آل عمران: [١٠٢].

(٢) سورة النساء: [١].

(٣) سورة الأحزاب: [٧٠ - ٧١].

(٤) هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يخطب بها، ويعلمها أصحابه، فيشرع للإنسان أن يأتي بها عند كل حاجة، وقد وردت عن عدد من الصحابة، منهم: عبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا. رواه أبو داود في النكاح، باب في خطبة النكاح (ح: ٢١١٨). والنسائي في الجمعة، باب كيفية الخطبة (ح: ١٤٠٥). وغيرهما. وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - روايات الحديث وطرقه وألفاظه في رسالة صغيرة جميلة.

أما بعد : فاليوم يواجه الإسلام والأمة الإسلامية تحديات ضخمة، ومؤامرات عالمية ذكيـة، مـن قبـل الـشرق والغـرب، وبمسميات مختلفة، سببت أزمات في جوانب عديـدة. في حـين يعج العـالم بملـل مختلفـة، ونحـل كثـيرة، ومـذاهب مبتدعـة، وفاسدة ومفسدة، وقديمة وحديثة، ولها رموزها و(أجنـدتها) الخاصة، وأنشطتها المختلفة، في مجالات واسعة...، ولكن هـذه الملـل والنحـل ورموزهـا لم ينلهـا مـن كيـد ومـؤامرة، وخنـق ومضايقة، وتشويه صورة ومحاصرة فكرة..، مـا نـال الإسـلام ورموزه ؟! فيا ترى ما هو السر في هذا ؟!.

لو أجلْنا النظر، وتعمقنـا في الفكـر، وأرخينـا لـه العنـان، وذهبنا في تحليل الواقع، وسبر أغـواره، وتحديـد أبعـاده، نجـد بكل بساطة سرَّ هذا التركيز على الإسلام ورموزه، ألا وهو قوة الإسلام وعظمته وحيويته المتمثلة في سرعـة الانتـشار، وأسره للقلـوب والعقـول بنـصاعة أحكامـه، وسـمو تـشريعاته..، وتكامله وشموله كمنهج للحياة، وتوافقه مع الفطـر الـسليمة والواقع، وامتلاكه مفتاحًا لحل جميع مـشكلات البـشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأوضحُ دليل عـلى مـا قلنـا هـو ذلـك الانتـشار الواسـع السريع الذي حققه الإسلام في فـترات الـسلم قـديمًا وحـديثًا،

وذلك عندما فُتح له المجال على مصراعيه للدعوة إليه، وبيان حقيقته، وشرح أهدافه ومراميه، وترجمته ترجمة حية في سلوك معتنقيه، وتُرك بين تشريعاته وبين البشرية المتعطشة إليها...

فهو دين أكثر انتشارًا في العالم اليوم، والقرآن وترجمته من أكثر الكتب تداولاً، وهذا ما تؤكده الدراسات، وتؤيده لغة الأرقام؛ ولذا لا غرابة أن نشهد قيام العالم بجميع أديانه ومذاهبه وملله ونحله لمحاربة الإسلام، ورميه عن قوس واحدة، وتشويه صورته اللامعة، وكَيْل التهم البشعة إليه، وإلى رموزه، في كل المناسبات، وبكل الوسائل المتاحة، بغية حصره في قمقم، لكي يحولوا بينه وبين البشرية الضائعة، ولكن هيهات هيهات؛ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

والتفسير الوحيد لهاجس الخوف عندهم هو تفلت زمام البشرية البائسة من أيديهم، وشرخ حصونهم المبنية - غالبًا - على شقاء الناس وإذلالهم، وسقوط نفوذهم ومكانتهم التي تمكنهم من تسيير الأمور حسب أهوائهم ومصالحهم، ويخشون كل الخشية من خروج هذا المارد من قمقمه ، وإمساكه زمام

---

(١) سورة الصف :[٨].

قيادة العالم وريادته مرة أخرى.

يخشونه لأن الكثير من الأباطرة والأساقفة والرؤساء وأهل المصالح والأهواء يعرفون كل المعرفة أنه جاء لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[1]. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]، فقوله تعالى: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يدل دلالة واضحة على تحديد أهم مهمة هذه الأمة، وهي هداية البشرية، وخيريتها - أيضًا - منوطة بهذا المعنى كما لا يخفى على متأمل .

ويعرفون أن الإسلام دين عالمي لا يحده حدود، ولا يفرِّق بين جنس وجنس، ولون ولون، بل ساحة دعوته هي الكون كل الكون، وجميع البشر؛ ويدركون أنه دين يتحرك بكل سرعة ونشاط، فيما لو قُدِّم على صورته الحقيقية، ولو لم توضع أمامه العراقيل والصدود، ويعلمون أن حملة هذه الرسالة الحقة لا يعيشون لأنفسهم، بل يحملون على عاتقهم إيصال هذا النور

---

(١) وهذا مما قاله ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس عندما سأله عن رسالة المسلمين. (انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٧ / ٤٣٩).

(٢) سورة آل عمران: [١١٠].

للعالمين؛ لذا لا نستغرب أن نجد كل هذا التحرك ضد الإسلام، والتعرض الجائر لرموزه ومقدساته، فالكفر ملة واحدة؛ ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

ويخطئ من يتصور أنهم يخافون من المسلمين كأفراد وجماعات ودول..، لا والله، فقد بان المكر وتجلّى بحربهم على أصول الإسلام، واستهدافَ ثوابته، والتشكيك في مسلماته، فهم يخافون من الإسلام الذي متى اعتصم به المسلم حق الاعتصام عزَّ وبزَّ، وساد وقاد..، كما حصل لسلف هذه الأمة؛ فهو دين لا يرغب عنه أحد إلا ذلَّ، ولا يعتصم به أحد إلا عزَّ؛ لذا كان تركيز أعدائه شديدًا - وبدهاء وخبث - على إبعاد المسلمين من الإسلام، ووصف المتمسكين منهم بدينهم بالمتطرفين والأصوليين ... إلخ .

وللأسف نجحت جهودهم إلى حدٍّ كبير في الحيلولة بينه وبين جمهور غير المسلمين، وفي إيجاد العقد النفسية والعراقيل والعقبات..، وتقديم معلومات مضللة ومشوهة عنه، ووصمه بأنه دين تخلف ورجعية، ودين دم وإرهاب!! إلى آخر ما هنالك من تهم وألقاب !! .

---

(١) سورة الجاثية :[١٩].

بل نجحوا في إبعاد البعض من المسلمين أنفسهم عن تشريعات الإسلام الغراء، وتعاليمه المتميزة، حتى أصبح الإسلام في كثير من البلاد الإسلامية غريبًا بين أهله وأبنائه، وفي محيطه ووطنه، وكانت النتيجة كثرة الفتن والمصائب والخطوب، واحتلال الأراضي، ونهب الثروات والمقدرات، وكثيرًا ما يُسند تقرير مصير المسلمين وحسم قضاياهم والبتّ في نزاعاتهم إلى أناس لا يمثلونهم، ولا يمتون إليهم بصلة، ولا يرقبون فيهم إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً، ويصدق عليهم قول الشاعر :

ويُقضى الأمر حين تغيب تيم   ولا يُستأذنون وهم شهود

وكان الشعور بهذه المؤامرات والمكائد، والحرقة لما آلت إليه أحوال المسلمين هي الدافع والباعث على تسطير هذا البحث؛ ليكون إسهامًا متواضعًا في سبيل إصلاح أوضاع المسلمين، ورفعًا لمستواهم الفكري، ووعيهم الشرعي في التعامل مع الفتن والتحديات والأزمات الراهنة، وفق المنهج الشرعي المستمد من الكتاب والسنة.

لا خيلَ عندَكَ تُهديها ولا مالُ   فَلْيُسعِدِ النطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ [1]

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، وهو مطلع لقصيدة يمدح بها أبا شجاع فاتكًا . (ديوان المتنبي مع شرح العكبري : ٣/٢٧٦) .

ولأن الكثير من المسلمين لا يكونون على مستوى التحديات والأحداث، بل البعض - مع الأسف - يجهل واقعه وما يُراد له، وما يراد منه ؟! فهم تجاه الوضع الراهن وفي الأزمات عمومًا أصناف :

فصنفٌ غافلون لاهونَ لا يشعرون بما آلت إليه حالهم، ولا يعلمون ما يجري حولَهم ؛ فهم دهماء الناس في لهوهِم غارقُون.

وصنفٌ آخر : هم للأخبارِ يتابعون ويحللون، وفي المجالسِ والمنتدياتِ يتحدثون، وهكذا أوقاتَهم وأعمارَهم يقضون، ولكنهم لا يتحركون ولا يقدمون شيئًا، فهم سلبيون تجاه الأحداث، وغير مقدرين للواقع المعاش .

وصنف ثالثٌ : مع الأحداثِ والأزماتِ فقط يستيقظون ثم يتساءلون :

ماذا نعملُ؟ وما هو دورُنا؟!.

فيسألون ويلحّون؛ لا ليعملوا ولكن لينفِّسوا؛ قلوبُهم تشتعلُ، ونفوسُهم تحترقُ؛ فيبحثون عن من يطفئُ حرائقَ صدورِهم، ولهيبَ نفوسِهم، فهم مندفعون وحماسيون آنيون .

وصنفٌ رابعٌ: هم كما قال الله - تعالى - في حقهم: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1]؛ فهم جادون هادئون، يسمعون ويتابعون، متفاعلون مع الأحداث، ومستشعرون بما هم فيه، عامِلون باذلون، وجنود مجهولون، وعلى ربِّهم متوكلون، وبه واثقون، وعن العطاء لا يتوقفون، وهم المعنيون بقول سيد المرسلين ﷺ: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ؛ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ))[2].

فالهجمات العدوانية، والمكائد الشيطانية، والمؤامرات العالمية التي تحاك ضد الإسلام ورموزه، كل هذا لا يزيد هذا الصنف إلا صلابةً وإيمانًا، وعزمًا وإصرارًا، وقوةً ويقينًا؛ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[3].

فأصحاب هذا الصنف لا ينال كيد العدو أبدًا من عزائمهم وصمودهم، ولا يثنيهم عن مواصلة المسيرة، بل

---

(١) سورة الأعراف: [١٨١].

(٢) رواه البخاري في العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين (ح: ٧١). ومسلم - واللفظ له - في الإمارة، باب قوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق..." (ح: ١٠٣٧).

(٣) سورة آل عمران: [١٧٣].

يدفعهم نحو بذل المزيد من العطاء لخدمة هذا الدين ونـصرته، والتمسك والاعتزاز به..؛ لأنه إن دل على شيء فإنما يـدل عـلى عظمة هذا الدين؛ وهو- بغض النظـر عـن تداعياتـه - مـؤشر قوي على قوة هذا الدين، وأنه حق من عنـد رب العـالمين؛ لأن الضعيف لا يُهاجم .

فـانظر - يـا رعـاك الله - مـن أي صـنف أنـت ؟! حتـى تتدارك أمرك، وتدرس وضعك، وتذكر أن طعم الموت في أمـر عظيم كطعم الموت في أمـر حقـير، وأن مـن لم يمـت بالـسيف مات بغيره .

على قَدرِ أَهلِ العَزمِ تأتي العَزَائِمُ وتأتِي على قَـدرِ الكِرَامِ المكَارِمُ
وتعظُمُ في عينِ الصَّغيرِ صغارُها وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العظَائِمُ

ويـشتمل هـذا البحـث عـلى: مقدمـة، وثلاثـة فـصول، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات .

أما المقدمة ففيها مبحثان :

المبحث الأول : (تفاؤل رغم قسوة المحن)، يتنـاول هـذا المبحث الإشارة إلى وضع المسلمين بصفة عامة في عـالم اليـوم الذي يقرر مصيره القوى المهيمنة العالميـة الكـبرى، ويحكمـون فيه بشريعة الغاب، ولكن الإسلام - رغم كل هذا - يـدعو إلى التفاؤل؛ لأنه عبر تاريخه الطويل لم يدخل محنـة إلا خـرج منهـا

ظافرًا منتصرًا، فهو الرسالة الأخيرة من السماء لهداية البشرية، وهذا يقتضي بقاءه ما بقيت البشرية على وجه هذه البسيطة .

والمبحث الثاني: (مدخل مهم في التعامل الأمثل مع الفتن والأزمات)، يبين هذا المبحث سبل التعامل الأمثل مع مجريات الأحداث .

وأما فصول البحث فقد جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول : الفتن (معناها ، وأنواعها) ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : معنى الفتنة .

المبحث الثاني : الفتنة في القرآن .

المبحث الثالث : الفتنة في السنة .

المبحث الرابع : أنواع الفتن .

المبحث الخامس : الفتنة العمياء الصماء .

الفصل الثاني : ذُكر فيه طائفة من الأخبار الواردة فيما هو كائن من الفتن .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : كمال شفقته ﷺ على أمته .

المبحث الثاني : معرفة الفتن المستقبلية للتخطيط والاستعداد .

الفصل الثالث : فوائد وحكم من وقوع الفتنة، وبعض النصوص الواردة فيها .

وأما الخاتمة، فقد ذكرت فيها التوصيات وأهمّ نتائج البحث .

د . إبراهيم بن عبد الله الدويش

القصيم - الرس - ١٥/ ٩/ ١٤٢٧هـ

أبيض

المبحث الأول

تفـاؤل رغـم قسـوة المحن

من ذا الذي يَرى حَالَ أمَّـةِ الإِسـلامِ في مثـلِ هـذه الأيـامِ وهي تئن تحت وطأة سياط الفتن الداخلية؛ يعصف بها تفـرق أهلها، وأصحاب الـرأي فيهـا، واخـتلاف كلمـتهم، وتقهقـر عزيمتهم وإرادتهم، إلى جانب تكالب أعدائها عليهـا مـن كـل جهة، فقد تداعت الأمم عليها من كـل حـدب وصـوب، كـما تتداعى الأكلة على قصعتها، وأجلبوا عليها بخيلهم ورجِلِهـم، تحت مسميات مختلفة، وذرائع شتى اختلقوهـا؛ كـالحرب عـلى الإرهاب، ونشر الحرية والديموقراطية...؟!! وغلَّفوها بـستار المواثيق الأممية، والقرارات الدولية..، والتي تسعى إلى إخضاع الدول المستـضعفة والناميـة، والـدول الإسـلامية، وإسـكات صوتها، وإركاعها للانصياع لمطالبهم؛ فالكلمـة في عـالم اليـوم للقـوي فقـط؛ فـصوته مـسموع، وبرهانـه معلـوم، وحجتـه معروفة على حدِّ قول الشاعر :

فدعوى القوي كدعوى السباع   من النـاب والـظـفر برهانهـا

فقـــد أصـــابَ الأمـــةَ الـــذُّلُ والهـــوانُ، والـــضعفُ والاستـسلامُ..، مـصداقًا لقـول الحبيـب ﷺ : ((يُوشِـكُ أَنْ

تَدَاعَى(1) عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا)) . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ ؟ .

قَالَ : ((أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ(2)، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ)) .

قُلْنَا : وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : ((حُبُّ الْحَيَاةِ ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))(3).

من ذا الذي يرى هذه الحالة البائسة ثم لا يتحركُ قلبُه، وتَدمعُ عَينُه، ويستيقظ ضميره، وتتململ أحاسيسه ؟!.

معركةٌ قاسيةٌ، وحياةٌ عصريةٌ كاذبةٌ، وحضارةٌ غربيةٌ

---

(1) قوله: (تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الأمَمُ) بحذف إحدى التائين، أي تتداعى بأن يدعو بعضهم بعضًا لمقاتلتكم، وكسر شوكتكم، وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال. (انظر: النهاية: ١٢٠/٢ ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ٢٧٢/١١) .

(2) الغُثَاء: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزَّبَد والوسخ وغيره. (النهاية : ٤٣٤/٣).

(3) رواه أبو داود في الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (ح: ٤٢٩٧). وأحمد (٢٧٨/٥). وأبو داود الطيالسي في مسنده (٣٣٣/٢ح : ١٠٨٥). والروياني في مسنده (٤٢٧/١). وأبو نعيم في الحلية (١٨٢/١). والبغوي في شرح السنة (١٦/١٥ ح: ٤٢٢٤). وابن عساكر في تاريخه (١٩٧/٨)؛ من حديث ثوبان رضي الله عنه .

وأخرجه أيضًا: أحمد (٣٥٩/٢) من حديث أبي هريرة، وكذا الطبراني في الأوسط مختصرًا (ح: ٧٢١٥). وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٧) - في رواية أبي هريرة- : "رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه وإسناد أحمد جيد" اهـ.

وقال الألباني في (الصحيحة، ح : ٩٥٨) بعد أن أورد طريقين للحديث: "..فالحديث بمجموع الطريقين صحيح عندي، والله أعلم". ووصححه أيضًا في صحيح أبي داود (ح: ٣٦١٠) .

ماديـةٌ، ومدنيـةٌ دنيّـةٌ، شـعاراتٌ زائفـةٌ، ومعـاييرُ مزدوجـةٌ، وحضاراتُ رعبٍ وإرهابٍ، عاريةٌ عن القيمِ والآدابِ...

ولو كانَ همًّا واحدًا لاتقيتُهُ ولكنَّه همٌّ وثانٍ وثالث

والحقيقة أن مـا يتعـرض لـه الإسـلام اليـوم مـن التحـديات الفكريـــة والـــسياسية والعـــسكرية والثقافيـــة والإعلاميـــة والاقتصادية.. تعتبر من أضخم وأشرس تحديات عرفها التاريخ:

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصًا جناحاه[1]

فلو تعرض لمثلها بل لأقلَّ منها أي نظام وضـعي لأصـبح أثرًا بعد عين، ولم يبق له وجود يُذكر؛ مهما زُعمت قـوة نظمـه، ومتانة أفكاره، وأصالة تشريعاته .

ولكن الإسـلام المـنهج الربـاني الخالـد الـذي اختـاره الله للبـشرية جمعـاء يملـك مـن عوامـل الاسـتمرار والعطـاء، وخصائص الديمومـة والبقـاء مـا جعلتـه يستعـصي عـلى كـل معاول الهدم والتخريب، وجعلته يخرج عن كـل محنـة خاضـها ظافرًا منتصرًا، وما محنة التتار التي أتت على الأخضر واليـابس عنا بخافية، بل كثيرًا مـا ذاب الغـازي وانـصهر في بوتقـة هـذا الدين، وصار مـن حماتـه وحراسـه، والمـدافعين عـن حريمـه، والداعين إليه، وخير شـاهد عـلى هـذا ملـوك المغـول العظـماء

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث (٢ / ٦٥) .

الذين كان لهم إسهامات كبيرة، وإنجازات مهمة في نشر الإسلام وحضارته، خاصة في الهند والسند، وما جاورهما من البلاد، بعد أن كان أجدادهم من ألد خصوم الإسلام، وأعدائه المستميتين لمحوه من الوجود وزواله .

كناطحٍ صخرةً يومًا ليُوهِنَهَا فلم يُضِرْهَا وأوهى قرنَهُ الوعلُ

لقد ألمحت لهذا لما فيه من بشارة تدعو للتفاؤل مهما كانت الفتن وشدتها، فقد كان التفاؤل في الشدائد منهجًا لقدوتنا ﷺ، فمن تأمل في أحواله، ومواقفه ﷺ في غزواته - خاصة الخندق منها- عرف هذا الدرس جيدًا، تأمل - أخي الكريم - كيف كان ﷺ وأصحابه في غزوة الأحزاب، وهم قلة في العدد والعُدد[1]، وفي ضيق من المعاش والأرزاق، حتى كان بطنه الشريف معصوبًا بحجر من شدة الجوع[2]، وكيف كان موقفهم

(١) عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بِالْإِسْلَامِ مِنْ النَّاسِ)) فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ، فَقُلْنَا: نَخَافُ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ؟! فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ابْتُلِينَا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَحْدَهُ وَهُوَ خَائِفٌ)). رواه البخاري في الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس (ح: ٣٠٦٠). قال الحافظ في (الفتح٦/١٧٨): "وَلَعَلَّهُ كَانَ عِنْد خُرُوجهمْ إِلَى أُحُد أَوْ غَيْرهَا. ثُمَّ رَأَيْت فِي شَرْح اِبْن التِّين الْجَزْم بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْد حَفْر الْخَنْدَق.

(٢) قال جابر رضي الله عنه: " إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ؛ فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: ((أَنَا نَازِلٌ)) ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتْ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: ((كَمْ هُوَ؟)) فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: ((كَثِيرٌ طَيِّبٌ)) قَالَ: ((قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّورِ، حَتَّى آتِيَ)) فَقَالَ: ((قُومُوا)) فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى

ومعنوياتهم في تلك اللحظات الحرجة، والأجواء العصيبة، المفعمة بالرعب والخوف، حين طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، واجتمعت الشدائد كلها، وضاقت حلقاتها من كل اتجاه:

أولاً : تجمع الأحزاب من كل مكان: قريش، وغطفان، وبنو أسد، وبنو سليم، وبنو مرة؛ ومن اليهود - أيضًا - : بنو قريظة، وبنو النضير . تجمعت هذه الأعداد، وضُرب حصار محكم منها على المدينة، وهذا يذكرنا بتجمع أعداء الدين اليوم كلهم على الإسلام وأهله .

ثانيًا : غدرُ اليهود وخيانتُهم ونقضُهم للعهد في المدينة، ونعرف مدى خطورة هذا الغدر إذا ما عرفنا موقع ديارهم في العوالي، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من المدينة على وادي مهزوز[1]، وأنه بإمكانهم تسديد ضربة غادرة للمسلمين من الخلف. وهذا الغدر هو ديدنهم الذي أخبر الله - عز وجل - عنهم في الكتاب، وستظل فيهم هذه الصفات إلى يوم القيامة، يؤكد هذا مكرهم ودهاؤهم اليوم، وتورطهم بكثير من أحداث الساعة، وتجييرها لصالحهم، واستغلالها لتشويه

امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: ((ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا)) فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: ((كُلِي هَذَا وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ)). رواه البخاري في المغازي، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (ح: ٤١٠١).

(١) انظر : معجم البلدان ، للحموي (٥/٢٣٤) .

الإسلام والمسلمين.

ثالثًـا: مكائد المنافقين، وتسللهم لواذًا، متعللـين بالأكاذيـب، وتثبيطهم للنفـوس، وبـثهم للرعـب والفـزع للقلـوب المريضة، قال تعـالى : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[1].

رابعـًا : زاد الموقفَ حرجًا الجوعُ المقعد، وفقدان الزاد، وحفر الخندق في أجواء عصيبة؛ ريح وبرد شديدين.

خامساً : الخوف على النساء والعجزة والأطفال وهـم في آطـام المدينـة[2]، والـسعي في حمـايتهم بعـد غـدر اليهـود مـن ورائهم.

سادسـاً : قلـة المـسلمين وقلـة الـسلاح والعتـاد أمـام تجمـع الأحزاب وقوتهم وكثرة عتادهم .

سـبحان الله! تـأملوا كـل هـذه الظـروف تجمعـت عـلى المسلمين في تلك اللحظـات، فعظـم الخطـب، واشـتد الأمـر، وضاق الحال حتى زلزلوا زلزالاً شديدًا، وقـال المنـافق مُعَتِّـب

(١) سورة الأحزاب :[١٢ – ١٣].
(٢) آطام المدينة :أبنيها المرتفعة كالحصون .(النهاية، ٥٤/١، مادة:أَطَمَ) .

بن قشير : " كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط "(١). ضعفُ يقين، وكلمات تثبيط وتخذيل، كما يفعل اليوم كثير من المنافقين .

وتأملوا كيف صور القرآن الشدة والمأزق الذي هم فيه بكل دقة؛ قال الله – تعالى – : ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾(٢).

إنها صورة الهول الذي روع المدينة، والكرب الذي حلّ بها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، فكان ليلهم بالخندق نهارًا، وكان المشركون يتناوبون بينهم.. حتى عظم البلاء، واشتد الكرب، وخاف الناس خوفًا شديدًا . وهم وسط هذه الظروف الصعبة، والشدائد والمصائب، فماذا فعل النبي ﷺ وأصحابه؟!.

هل انهاروا وانهزموا نفسيًّا، أو تشاءموا واستسلموا

---

(١) ذكره ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٢٢٢/٣) . وعنه الطبري في التفسير (٨٣/٢١). وأخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة في قوله تعالى : ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾. قال ناس من المنافقين : " يعدنا محمد أنا نفتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ". (التفسير الصحيح للأستاذ الدكتور حكمت بشير، ١١٧/٤) .

(٢) سورة الأحزاب :[١٠- ١١].

وقعدوا عن العمل؟.

هل سمحوا لليأس والقنوط يتسرب إلى نفوسهم؟.

هل غرقوا في بحر التشاؤم؟ هل تراجعوا ونكصوا؟.

هل ضعفوا أمام زحف المدلهمات؟ هل أصابهم اليأس والهوان...؟.

لا، لم يكن شيء من هذا أبدًا، بل ما زادتهم إلا إيمانًا وتسليمًا: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[1]، ورددوا بلسان حالهم:

وكل الحادثات إذا تناهت   فموصول بها فرج قريب

وأخذوا بزمام المبادرة، وتفاءلوا وتفاعلوا، واجتمعوا وتعاونوا، وفكروا وتشاوروا، وتناصحوا وتكاتفوا، ففتح الله على سلمان الفارسي رضي الله عنه بفكرة عظيمة، بضرب خندق بينهم وبين عدوهم[2]، وهكذا هي المواهب والطاقات، والعقول والأفكار، فهذا يفكر، وهذا يخطط، وهذا ينفذ، بجميع تخصصاتهم وقدراتهم، الجميع يعملون، يدفعهم حب العمل، رغم حجم

---

(١) سورة الأحزاب: [٢٢].

(٢) ذكره الواقدي في مغازيه (٢/٤٤٥) بأسانيد إلى مشايخه، وفيهم أبو معشر وهو نَجيح بن عبد الرحمن السندي، وهو ضعيف كما في (التقريب، ص:٥٥٩)، وفيهم الثقات والضعفاء.. وابن سعد (٢/٦٦) معلقاً، وذكره ابن حجر في الفتح من رواية أبي معشر معلقا (٧/٣٩٢- ٣٩٣). وابن كثير في التفسير (٦/٣٨٤).

الفتنة، وشدتها وصعوبتها، رغم الخوف والرعب، فإذا برسول الله ﷺ النبي المربي وهو يحفر الخندق معهم يضرب بفأسه الحجر ويقول مبشرًا أصحابه ومتفائلاً ورافعًا معنوياتهم: ((اللهُ أَكْبَرُ ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا)) ثُمَّ قَالَ : ((بِسْمِ اللهِ)) وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ : ((اللهُ أَكْبَرُ ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا)) ثُمَّ قَالَ : ((بِسْمِ اللهِ))، وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ : ((اللهُ أَكْبَرُ ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا))[1].

فأبشروا فإنه الإسلام الرسالة الأخيرة من السماء للبشرية، فكون الإسلام بهذه الصفة يقتضي أن يخلد خلود الدهر، ولذا تولى الله – تعالى – حفظه بنفسه، فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]. وجعله يبقى مشاعل ومنارات هداية للبشرية، ما بقيت لهم عين تطرف، وعرق ينبض، لكن هذا لا يُعفي أبدًا حملته عن مسؤولية العمل، ورفع رايته خفاقة في كل مكان .

---

(١) رواه أحمد (٣٠٣/٤). والنسائي في (الكبرى، ٢٦٩/٥- ٢٧٠ ح: ٨٨٥٨). من حديث البراء بن عازب، وصححه القاضي عبد الحق كما ذكر القرطبي في تفسيره (١١٩/١٤). وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٣٩٧/٧)، وأصله عند البخاري في صحيحه، في المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (ح: ٤١٠١) .

(٢) سورة الحجر :[٩].

ولم أجِدِ الإنســانَ إلا ابنَ سعيــهِ فمن كانَ أسعى كانَ بالمجدِ أجدرَا
وبـالهمَّةِ العلياءِ ترقى إلى العُلا فمـن كان أعلى همةً كان أظهرَا
ولـم يتــأخَّر مـن أرادَ تقـدُّمًا ولـم يتقـدَّم مـن أرادَ تـأخُّرَا

وحملة هذه الرسالة الحقة عليهم واجب كبير، ومسؤولية عظيمة، وهو إيصال هذا النور للعالمين، وأعتقد أن كل مسلم مدرك يقظ حي الضمير لا يملك إزاء هذا الوضع المتردي إلا أن يبذل كلَّ ما بوسعه من قوة وطاقة، في سبيل نصرة هذا الدين، وإعلاء كلمته -كلٌّ حسب قدرته وإمكانياته، ومن موقع نفوذه وتخصصه-، ويسد الثغر الذي هو فيه؛ حتى لا يُؤتى الإسلام من قبله .

لا تيأسوا أن تستردوا عزَّكُم فلربَّ مغلوب هوى ثم ارتقى
وتجشَّــموا للعزِّ كلَّ عظيمةٍ إني رأيتُ العزَّ صعبَ المرتـقَى

المبحث الثاني

مدخل مهم في التعامل الأمثل مع الفتن والأزمات

التدرج والواقعية في الإصلاح والتربية وحل المشاكل، وعدم استعجال النتيجة مدخل رئيس وهامّ في التعامل مع مجريات الأحداث والمتغيرات، وبالغفلة عنه خسرنا وفقدنا الكثير، وما زلنا، فحريٌّ بكل صاحب قلم وفكر، وكل أخ مبارك، أن يُعمل فكره، ويضاعف جهده، في تبصير الناس وتوعيتهم، وأن يقدم حلولاً مناسبة ومدروسة، ووسائل وآليات ناجحة ناجعة لتربية الذات، وحل المشاكل، وتفعيل المواهب، وتفجير القدرات، وتوظيف الطاقات، واضعًا نصب عينيه هذا المدخل المهم؛ مستشرفًا خطوطه العريضة من هذه الجملة النبوية الرائعة: ((فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا))، وذلك في قوله ﷺ : ((مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ : رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ؛ فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ))[1].

---

(١) رواه البخاري في الرقاق، باب الانتهاء من المعاصي (ح: ٦٤٨٢). ومسلم - واللفظ له - في الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (ح: ٢٢٨٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

إن جملة ((فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ...)) - رغم نـذارة النـذير العريان.. - تحتاج منا لوقفات وتأملات، وإعمال فكر، وعمـل دؤوب؛ لأن ما وصلنا إليه من حال ليس وليد يوم وليلـة، ولا سنة وسنتين وثلاث، بل هو نتيجة لغفـلات، وضـعف الجديـة والاهتمام بالمسؤوليات، وغلبة الأهواء والمـصالح الشخـصية، وأوضـاع سـيئة وأخطـاء مـتراكمات، عـبر الـسنين الطويلـة وبتدرج، وإذا كان النزول تدرَّج واستغرق هذه السنين الطويلة فكيف بالعروج والبناء الذي هو أصـعب وأشـق ولا شـك ؟! ثم كيف ببنـاء تتربـصه معـاول التخريـب والتـدمير، والكيـد والتصنيف واتهام النيات؟!!.

متى يبلغُ البنيانُ يومًا تمامَه   إذا كنتَ تبنيهِ وغيرُكَ يهدمُ

ولكن عندنا وعد حق لا يُخلَف، فيجب أن نـؤمن بـه إيمانًـا جازمًا يصل إلى حد اليقين، وهو أن المستقبل لهـذا الـدين؛ فـالله تفضل وكتب أن ينصر دينه، ويعز جنده، ويعلي كلمته؛ فمتى مـا نصرنا الله تعالى، واستوفينا شروط النـصر، وتـوافرت مقوماتـه، تحقق النصر، واستعادت الأمـة أمجادهـا، فلنحـذر مـن العجلـة والاستعجال؛ فهـما مـن الـشيطان، قـال ﷺ مادحًـا أَشَـجَّ عَبْـدِ

الْقَيْسِ: ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ))[1].

ولنأخذ بالسنن الكونية والواقعية بتعقل وصبر ومصابرة. ولكن علينا أن نتنبه إلى أن الصبر والتعقل وعدم العجلة.. لا تعني أبدًا القعود والكسل وعدم المبادرة، بل هناك فرق جوهري بين العجلة والمبادرة، يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – : " والفرق بين المبادرة والعجلة: أن المبادرة انتهاز الفرص في وقتها، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في إدبارها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها، ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته، فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها.

والعجلة طلب أخذ الشيء قبل وقته؛ فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها.

فالمبادرة وسط بين خُلقين مذمومين أحدهما: التفريط والإضاعة، والثاني: الاستعجال قبل الوقت. ولهذا كانت العجلة من الشيطان؛ فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشرور وتمنعه من الخير،

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه.. (ح: ١٨).

وهي قرين الندامة؛ فقلَّ من استعجل إلا نـدم، كـما أن الكـسل قرين الفوت والإضاعة"[1].

وينبغي أن نعي - أيضًا - أن الأمة قـد تـضعف كـالأفراد وتصيبها الأمراض ولكنها لا تبقى ضـعيفةً عليلـةً أبـدًا، وقـد يخبو لهب نارها ولكن الجذوة تبقـى متقـدة لا تطفـأ ولا تـصير رمادًا أبدًا؛ فهي أشبه بالغيث لا ينقطع عنها الخير أبدًا، كما قـال ﷺ: ((مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ))[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4]. وقال:

---

(١) الروح، لابن القيم (٥٤٦ -٥٤٧).

(٢) رواه الترمذي في الأدب، باب مثل أمتي مثل المطر (ح: ٢٨٦٩). وأحمد (٣/١٣٠، ١٤٣). وأبو داود الطيالسي في مسنده (٣/٥١١ ح: ٢١٣٥). والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص:٣٤٦) من حديث أنس بن مالك.

وروي الحديث - أيضًا - من حديث عمار بن ياسر، وعبد الله بن عمر، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو.

وقد ذكره الهيثمي في (المجمع، ١٠/٦٨) من طرق كثيرة بأسانيد حسنة، ورجال بعضها رجال الصحيح.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٦): "وهو حديث حسن، له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة".

وقال الألباني بعد ما ذكر روايات الحديث وطرقه في الصحيحة (ح: ٢٢٨٦): "وبالجملة؛ فالحديث صحيح بلا ريب بمجموع هذه الطرق ولذلك جزم بنسبته إلى النبي ﷺ العلامة ابن القيم في إعلام الموقعين ٢/٣٥٨" ثم ذكر الألباني قول الحافظ السابق وعقب عليه بقوله: "قلت: بل هو صحيح يقينًا كما تبين من هذا التخريج". اهـ.

(٣) سورة الصافات: [١٧١ - ١٧٣].

(٤) سورة محمد ﷺ: [٧].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

والنبي ﷺ يقول: ((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ))[2].

وبعد أحداث (الحادي عشر من سبتمبر)[3] تكلمت الدنيا كلها عن الإسلام بحق وبباطل؛ وبكل اللغات وكل الألسن، وعبر كل وسائل البث والإعلام؛ لا أظن أنه بقي بيت مدر ولا وبر إلا وسمعوا بالإسلام وعنه .

وقال ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا

(١) سورة النور :[٥٥].

(٢) رواه أحمد (١٠٣/٤). وابن حبان في صحيحه (ح: ١٦٣١ ، ح: ١٦٣٢). والطبراني في "الكبير" (ح:١٢٨٠)، وابن منده في الإيمان (٩٨٢/٢ ح: ١٠٨٥). والبيهقي في السنن الكبرى (١٨١/٩). والحاكم (٤٣٠/٤) من حديث تميم الداري. وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في (المجمع ١٤/٦): "رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح". وصححه الألباني (مجلة التمدن الإسلامي، ٤٢٦/٢٤) فقال: "وله شاهدان : أحدهما عن المقداد ابن الأسود أخرجه ابن منده والحاكم، وسنده صحيح، والآخر عن أبي ثعلبة الخشني أخرجه الحاكم (٤٨٨/١)" اهـ الحديث في الصحيحة برقم (٣) .

(٣) الحادي عشر من سبتمبر عام ألفين وواحد للميلاد هو تاريخ تفجير مبنى التجارة العالمية بـ(مانهاتن)، ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية في (واشنطن) بالولايات المتحدة .

وَمَغَارِبَهَـا، وَإِنَّ أُمَّتِـي سَـيَبْلُغُ مُلْكُهَـا مَـا زُوِيَ لِي مِنْهَـا))[1].

وغيرها كثير من نصوص الوحي الذي ﴿لا يَأْتِيـهِ الْبَاطِـلُ مِـن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[2].

فلْنتواصَ، ولْنـوصِ المتعجلـين أن يربـأوا بأنفـسهم عـن العجلة، وأن نلتمس الصواب مع الإخلاص، وأن نفعل الخـير كما ينبغي، وليس كما نبغي، بتدرج وواقعية، وبحكمة وبصيرة.

---

(١) رواه مسلم في الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (ح: ٢٨٨٩).

(٢) سورة فصلت: [٤٢].

الفصل الأول

الفـتن (مـعنـاهـا ، وأنـواعهـا)

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : معنى الفتنة :

الفتنة لغةً : مصدر، كالفَتْنِ والفُتُونِ، وكـل ذلـك مـأخوذ مـن مادة (فَتَنَ) التي تـدل عـلى" الابـتلاء والاختبـار" يقـال: فتنت الذهب بالنار إذا امتحنته"[1] .

ووردت الفتنة في القـرآن والـسنة وكـلام العـرب عـلى معان عدة :

قال الخليل : " الفَتْنُ إحراق الشيء بالنار كـالورق الفَتِـين أي المحترق ، وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّـارِ يُفْتَنُـونَ﴾[2] أي يحرقـون.. والفتنـة - أيـضًا - أن يفـتن الله قومًـا أي يبتلـيهم ، والفِتَن : ما يقع بين الناس من الحروب"[3].

وقال الراغب : " أصل الفَتْنِ إدخال الذهب النار لتظهـر

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٧٢) .

(٢) سورة الذاريات :[١٣].

(٣) كتاب العين (٨/١٢٨) .

جودتُه من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾[1] أي عذابكم "[2].

وقال ابن منظور: قال الأزهري وغيره: جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد.

ولخص ابن الأعرابي معنى الفتنة فقال: "الفتنة: الاختبار، والفتنة: المحنة، والفتنة: المال، والفتنة: الأولاد، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء، والفتنة: الإحراق بالنار، وقيل أيضًا: الفتنة: الظلم..."[3].

قال الحافظ بن حجر: " وَمَعْنَى الْفِتْنَةِ فِي الْأَصْلِ: الاخْتِبَار وَالامْتِحَان، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَكْشِفُهُ الِامْتِحَانُ عَنْ سُوء. وَتُطْلَقُ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْغُلُوِّ فِي التَّأْوِيلِ الْبَعِيدِ؛ وَعَلَى الْفَضِيحَةِ، وَالْبَلِيَّة، وَالْعَذَابِ، وَالْقِتَالِ، وَالتَّحَوُّلِ مِنْ الْحَسَنِ إِلَى الْقَبِيحِ، وَالْمَيْلِ إِلَى الشَّيْءِ وَالْإِعْجَاب بِهِ، وَتَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرّ كَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم

---

(1) سورة الذاريات: [13 - 14].
(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ص: 623).
(3) لسان العرب، مادة: (فَتَنَ).

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1]"[2].

ويعرف المراد من الفتنة حيثما ورد بالسياق والقرائن[3]، وحسب ما أضيفت إليه، فقد قال ابن القيم - رحمه الله - : "وأما الفتنة التي يضيفها الله – سبحانه - إلى نفسه، أو يضيفها رسوله إليه، كقوله : ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[4]، وقول موسى : ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء﴾[5]، فتلك بمعنى آخر؛ وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب، فهذه لون، وفتنة المشركين لون، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر، والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية وبين أهل الجمل، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر"[6].

وفتنة الصدر: الوسواس، وفتنة المحيا: العدول عن الطريق، وفتنة الممات: سؤال القبر، وفتانا القبر: منكر ونكير[7]،

---

(١) سورة الأنبياء :[٣٥].
(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/٢) في شرح كتاب الصلاة، باب الصلاة كفارة (ح: ٥٢٥).
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٧٦/١١).
(٤) سورة الأنعام :[٥٣].
(٥) سورة الأعراف :[١٥٥].
(٦) زاد المعاد (١٧٠/٣).
(٧) انظر: لسان العرب (١٨١/١٠، مادة: فَتَنَ).

وهكذا دواليك.

والفتنة في الاصطلاح : هي ما يُبَيَّنُ به حال الإنسان من الخير والشر كما قال الجرجاني[1]. وخير تعريف للفتنة هو ما بينته النصوص، حيث أثبتت تنوعها وعمومها كما بينا وكما سيأتي.

---

(١) التعريفات، للجرجاني (ص: ١٧١).

المبحث الثاني : الفتنة في القـرآن :

وقد وردت الفتنة في القرآن الكـريم عـلى معـان متعـددة، ووجوه مختلفة، فمن تلك الوجوه[1] :

١ ـ الفتنة بمعنى الشرك : ومنه قولـه -تعـالى- : ﴿وَقَـاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِّ﴾[2]، وقوله -تعالى- : ﴿وَالفِتْنَةُ أَكْبرُ مِنَ القَتْل ﴾[3] .

٢ – بمعنى الابتلاء والاختبار والمحنة: ومنه قولـه – عـز مـن قائل – : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[4] أي: بلوناك . وقوله: ﴿وَلَقَـدْ فَتَنَّـا الَّـذِينَ مِـن قَـبْلِهِمْ فَلَـيَعْلَمَنَّ اللهُّ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[5] أي: امتحناهم .

٣– وبمعنى العذاب : ومنه قوله -جلَّ وعلا- : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَـا فُتِنُـواْ﴾[6] أي عُـذبوا؛ وقولـه تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَـتَكُمْ﴾[7]؛ وقولـه -تعـالى- : ﴿جَعَـلَ

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، وبصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي (١٦٧/٤)، والمفردات للراغب (ص: ٦٢٣– ٦٢٤)، والكليات للكفوي (ص: ٦٩٢)، وإغاثة اللهفان، لابن القيم (١٥٨/٢ وما بعدها)، وانظر أيضًا في تفسير الآيات المذكورة :تفسير الطبري، وابن عطية، والزمخشري، والقرطبي، وأبي حيان، والشوكاني، وابن كثير وغيرها .

(٢) سورة البقرة :[١٩٣].

(٣) سورة البقرة :[٢١٧].

(٤) سورة طه :[٤٠].

(٥) سورة العنكبوت :[٣].

(٦) سورة النحل :[١١٠].

(٧) سورة الذاريات :[١٤].

فِتْنَـــةَ النَّـــاسِ كَعَــذَابِ اللهِ ﴾[1]. وبمعنـــى التعــذيب والإحراق بالنار: ومنه قوله -تعالى- : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُواْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [2] أي: عذَّبوهم بالنار.

٤ - وبمعنى الإثم : ومنه قوله -عز وجـل- : ﴿ وَمِـنْهُم مَـن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَـقَطُوا ﴾[3]، أي في الإثم سقطوا .

٥- بمعنى الكفر : ومنه قوله -سـبحانه- : ﴿ فَأَمَّـا الَّذيْـنَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُـونَ مَاتَـشَابَهَ مِنْـهُ ابْتِغَـاءَ الفِتْنَـةِ ﴾[4]؛ وقوله : ﴿ لَقَدِ ابْتَغُوا الفِتْنَةَ ﴾[5].

٦- و بمعنى القتل والهلاك : ومنه قوله - جل جلاله - : ﴿إِنْ خِفْتُـمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[6]، أي يقتلكم؛ وقوله: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَـى إِلاَّ ذُرِّيَّـةٌ مِّـن قَوْمِـهِ عَـلَى خَـوْفٍ مِّـن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾[7] أي: يقتلهم.

٧- الصدُّ عن الـصراط المـستقيم : ومنـه قولـه -سـبحانه- :

---

(١) سورة العنكبوت :[١٠].

(٢) سورة البروج :[١٠].

(٣) سورة التوبة :[٤٩].

(٤) سورة آل عمران :[٧].

(٥) سورة التوبة :[٤٨].

(٦) سورة النساء :[١٠١].

(٧) سورة يونس :[٨٣].

﴿وَإِنْ كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾[1]؛ وقوله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾[2] أي : يصدوك، وقيل : يوقعوك في بلية وشدة في صرفهم إياك عما أوحي إليك .

٨ – بمعنى الحيرة والضلالة: ومنه قوله – عز وجل – : ﴿وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ﴾[3]، أي: ضلالته؛ وقوله : ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾[4] أي بضالِّين .

٩- وبمعنى العُذْر والعلة : ومنه قوله -تعالى- : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَاكُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[5]، أي : عُذرهم .

١٠- وبمعنى الجنون والغفلة : ومنه قوله -جل وعلا-: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونَ﴾[6] أي : الجنون .

١١- الفتنة بمعنى العِبْرة : ومنه قوله -عز من قائل-: ﴿رَبَّنَا لاَتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَومِ الظَّلِمِينَ﴾[7] .

---

(١) سورة الإسراء :[٧٣].
(٢) سورة المائدة :[٤٩].
(٣) سورة المائدة :[٤١].
(٤) سورة الصافات :[١٦٢].
(٥) سورة الأنعام :[٢٣].
(٦) سورة القلم :[٦].
(٧) سورة يونس :[٨٥].

المبحث الثالث: الفتنة في السنة :

جاءت الفتنة في السنة - أيضًا - لمعـان متعـددة، وهـي لا تخرج في مجملها عن معنى الفتنة في أصل الوضع، وهو الابتلاء والامتحان والاختبار، والسياق والقرائن الـواردة في نـصوص السنة هما اللذان يحـددان المعنـى المـراد؛ فعنـد إضـافتها يكـون معناها حسب ما أضيفت إليه؛ فقوله ﷺ - عنـدما خطـب عَـلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَـةَ عَلَيْهَـا الـسَّلَام- ((إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْـتَنَ فِي دِينِهَـا))[1]. "يَعْنِـي أَنَّهَـا لَا تَصْبِر عَلَى الْغَيْرَة؛ فَيَقَع مِنْهَا فِي حَقّ زَوْجهَا فِي حَال الْغَضَب مَـا لَا يَلِيق بِحَالِهَا فِي الدِّين "[2].

وفتنة الدنيا - في قوله ﷺ : ((وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا))[3] - تعني المنافسة فيها، والميل إليها والانشغال بشهواتها وزينتهـا عن الآخرة والعمل لها .

وفتنة النساء - في قوله ((مَا تَرَكْتُ بَعْـدِي فِتْنَـةً أَضَرَّ عَـلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))[4] - هي الإعجاب المفرط والانشغال بهـن

---

(١) رواه البخاري في فرض الخمس، باب ما ذُكر من درع النبي ﷺ..(ح: ٣١١٠) .
(٢) فتح الباري (٣٢٩/٩) .
(٣) رواه البخاري في الدعوات، باب الاستعاذة من أرذل العمر، ومن فتنة الدنيا.. (ح: ٦٣٧٤) .
(٤) رواه البخاري في النكاح، باب ما يُتقى من شؤم المرأة (ح: ٥٠٩٦). ومسلم في الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء(ح: ٢٧٤٠ ، ٢٧٤١).

والغفلة عن عمل الآخرة، أو حملهن الرجال على التهالك على طلب الدنيا واكتساب المحرم، أو الافتتان بهن بسبب التبرج وغير ذلك،... .

ومن معاني الفتنة في السنة :

١ - الحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين: ومنه قوله ﷺ : ((سَتكُونُ فِتَنٌ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ))[١]. وقوله ﷺ : ((هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟! إِنِّي أَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيُوتِكُمْ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ))[٢].

٢ - الاختبار والامتحان والابتلاء : ومنه قوله ﷺ: ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))[٣].

٣ - الالتهاء بالشيء والانشغال به عن الأولى منه: ومنه ما جاء عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: ((مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ

---

(١) رواه البخاري في الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم (ح:٧٠٨١، ٧٠٨٢). ومسلم في الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر (ح: ٢٨٨٦) .

(٢) رواه البخاري (ح: ١٨٧٨). ومسلم (ح: ٢٨٨٥). وسيأتي تخريجه في المبحث الخامس .

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء. وبيان الفتنة بالنساء (ح: ٢٧٤٢) .

صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ كَـانَ لَيَـسْمَعُ بُكَـاءَ الـصَّبِيِّ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ))(1). قَوْلُهُ : (أَنْ تُفْـتَنَ أُمّـه) أَيْ : تَلْتَهِي عَنْ صَلَاتِهَا لِاشْتِغَال قَلْبِهَـا بِبُكَائِـهِ(2). ومنـه قولـه ﷺ عندما لبس خميصة لها أعلام ((كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَلَمِهَـا وَأَنَـا فِي الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي))(3). أي يلهيني علمها .

٤ - القتل والتعذيب، ومنه قول عبـد الله بـن عمـر -رضي الله عنهما- ((فَكَانَ الرَّجُـلُ يُفْـتَنُ فِي دِينِـهِ؛ إِمَّـا قَتَلُـوهُ، وَإِمَّـا يُعَذِّبُونَهُ، حَتَّى كَثُرَ الْإِسْلَامُ، فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ))(4).

٥ - حصول الشر والبلاء والمعاصي، ومنه قوله ﷺ ((إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَـةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))(5).

٦ - الإكراه على الرجـوع عـن الـدين إلى الكفـر، أو عـن الطاعة إلى المعصية: ومنـه قولـه ﷺ : ((بَـادِرُوا بِـالْأَعْمَالِ فِتَنًـا

---

(١) رواه البخاري في الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (ح: ٧٠٨) .
(٢) فتح الباري (٢/٢٠٢) .
(٣) رواه البخاري في الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام... (ح: ٣٧٣) .
(٤) رواه البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [الأنفال:٣٩]، (ح: ٤٦٥٠) .
(٥) رواه ابن ماجه - واللفظ له - في النكاح، باب الأكفاء (ح: ١٩٦٧). والترمذي في النكاح، باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه (ح: ١٠٨٤) من حديث أبي هريرة، ورجح إرساله، وأخرج بعده (ح: ١٠٨٥) من حديث أبي حاتم المزني، وقال: حسن غريب. ورواه الحاكم (٢/١٦٤- ١٦٥). وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: " عبد الحميد قال أبو داود: كان غير ثقة، ووثيمة لا يعرف" وحسنه الألباني بشواهده في (الإرواء، ٦/٢٦٦، ح: ١٨٦٨)، وفي صحيح ابن ماجه (ح: ١٦٠١).

كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا))[1].

ومنه ما روى الْبَرَاءُ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعَرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللهِّ:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا
إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ))[2].

٧ - التنفير من الدين، ومنه قوله ﷺ - لمعاذ حينما طوَّل في الصلاة شكاه رجل إلى النبي ﷺ- ((يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ ؟ ثَلاَثًا، اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَنَحْوَهَا))[3].

قوله (أفتان) أي منفر عن الدين، وصاد عنه[4].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (ح: ١١٨).

(٢) رواه البخاري في الجهاد، باب حفر الخندق (ح: ٢٨٣٧). ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (ح: ١٠٣).

(٣) رواه البخاري في الأذان، باب إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلى (ح: ٧٠١). ومسلم في الصلاة، باب في القراءة في العشاء (ح: ٤٦٥).

(٤) شرح مسلم للنووي (٢/٤٢١).

المبحث الرابع: أنواع الفتن وأخطرها:

من خلال ما تقدم من النصوص يتبين لنا أن الفتن أنواعها كثيرة، وذيولها متشعبة، منها فتن الشهوات والشبهات، وفتن في السراء، وفتن في الضراء، وفتن قبل الموت وفتن بعده، وفتن عامة وفتن خاصة، وفتن في النفس، وفتن في الأهل والمال والولد، وفتن في الخير، وفتن في الشر...، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[2].

بل البعض منا فتنة للبعض الآخر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[3]، قال ابن القيم - رحمه الله - : " وهذا عام في جميع الخلق، امتحن بعضهم ببعض، فامتحن الرسل بالمرسل إليهم، ودعوتهم إلى الحق، والصبر على أذاهم، وتحمل المشاق في تبليغهم رسالات ربهم، وامتحن المرسل إليهم بالرسل، وهل يطيعونهم،

---

(١) سورة البقرة :[١٥٥- ١٥٦].

(٢) سورة الأنبياء :[٣٥].

(٣) سورة الفرقان :[٢٠].

وينصرونهم، ويصدقونهم، أم يكفرون بهم، ويردون عليهم، ويقاتلونهم ؟.

وامتحن العلماء بالجهال، هل يعلمونهم، وينصحونهم، ويصبرون على تعليمهم ونصحهم، وإرشادهم، ولوازم ذلك؟ وامتحن الجهال بالعلماء، هل يطيعونهم، ويهتدون بهم؟.

وامتحن الملوك بالرعية، والرعية بالملوك، وامتحن الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، وامتحن الضعفاء بالأقوياء، والأقوياء بالضعفاء، والسادة بالأتباع، والأتباع بالسادة، وامتحن المالك بمملوكه، ومملوكه به، وامتحن الرجل بامرأته، وامرأته به، وامتحن الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والمؤمنين بالكفار، والكفار بالمؤمنين.."[1].

فأعظم الفتن وأخطرها على الإطلاق ما كان في الدين، فالضلال في الدين ينشأ عن فتنتين عظيمتين خطيرتين، سائقهما الهوى، وتغييب سلطان العقل والهدى، وحاديهما الجهل وقِصَرُ النظر، وتغليب العاجل على الآجل، وهما: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، فإذا سلم العبد منهما يحصل له أعظم غايتين مطلوبتين، يتم بهما صلاحه وفلاحه وكماله، وهما : الهدى

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٦٠ – ١٦١).

والرحمة، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وقال ابن القيم مفصلاً هاتين الفتنتين تفصيلاً رائعًا، ذاكرًا أسبابهما وعلاجهما، فقال - رحمه الله - :

" الفتنة نوعان : فتنة الشبهات - وهي أعظم الفتنتين - ، وفتنة الشهوات .

وقد يجتمعان للعبد . وقد ينفرد بإحداهما .

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيء القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله - تعالى - فيهم : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ﴾[2]... .

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم . فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال .

---

(١) سورة يونس : [٥٧].
(٢) سورة النجم : [٢٣].

ولا يُنجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول ﷺ، وتحكيمه في دِقّ الدين وجِلّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام...

وهذه الفتنة تنشأ تارةً من فهم فاسدٍ، وتارةً من نقلٍ كاذبٍ، وتارةً من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارةً من غرضٍ فاسدٍ، وهوًى متبعٍ، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة .

أما النوع الثاني من الفتنه ففتنة الشهوات. وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله : ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ ﴾(1). أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال : ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ ﴾(2). فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات . فأشار - سبحانه - في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل

---

(1) سورة التوبة :[٦٩].

(2) سورة التوبة :[٦٩].

بخلاف العلم الصحيح .

فالأول : هو البدع وما والاها، والثاني : فسق الأعمال .

فالأول : فسادٌ من جهة الشبهات . والثاني : فساد من جهة الشهوات؛ ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه .

وكانوا يقولون : احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنةٌ لكل مفتون[1].

وأصل كل فتنةٍ إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل .

فالأول : أصل فتنة الشبهة ، والثاني : أصل فتنة الشهوة.

ففتنة الشبهات تُدفع باليقين، وفتنة الشهوات تُدفع بالصبر، ولذلك جعل - سبحانه - إمامة الدين منوطةً بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]، فدل على أنه بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين. وجمع بينهما - أيضًا - في قوله ﴿وَتَوَاصَوْا

---

(١) من قول سفيان الثوري، رواه الآجري في (أخلاق العلماء، ص:٦٣). ونعيم بن حماد في (زوائد الزهد، ص١٨، ح: ٧٥) . الجرح والتعديل، للرازي (٩٢/١) .

(٢) سورة السجدة : [٢٤].

بـالْحَقِّ وَتَوَاصَـوْا بِالـصَّبْرِ﴾[1]، فتواصـوا بـالحق الـذي يَـدفع الشبهات، وبالصبر الـذي يَكـف عـن الـشهوات...، فـبكمال العقل والصبر تُدفع فتنـة الـشهوة، وبكـمال البـصيرة واليقـين تُدفع فتنة الشبهة، والله المستعان"[2].

يتضح مما تقدم أن أعظم الفتن وأخطرها هي التي يشتبه فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال، وهي فتنة الشبهات التـي تكـون في الدين، فالضلال في الدين ينشأ عن تقديم الـرأي عـلى الـشرع، وتليها في الخطورة فتنة الشهوات التي أصلها تقـديم الهـوى عـلى العقل، وتغليب العاجل على الآجل، ولا يسلم أحـد مـن هـاتين الفتنتين إلا بالصبر واليقين، وهما ركنا الإمامة في الدين .

(١) سورة العصر :[٣].
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/١٦٥ - ١٦٧) .

المبحث الخامس: الفتنة العمياء الصماء :

ومن بين تلك الفتن فتنة عمياء صماء[1]، تعم الجميع، وهي التي لا سبيل إلى تسكينها وتهدئتها؛ لتناهيها في خبثها ودهائها؛ فيقف اللبيب فيها حيران، بل تنزع عقول الكثيرين، ويكثر الهرج وهو القتل حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته، وحينها لا يأمن الرجل جليسه، فلا يدري المقتول لماذا قُتل، ولا القاتل لماذا قَتل، وتسود شريعة الغاب؛ فيأكل القوي الضعيف، ولهذا السبب وصفت بأنها عمياء وصماء، فهي كالأصم الذي لا يسمع النداء، ولا يلتفت إلى الاستغاثة والرجاء، فلا يقلع عما يفعله. وهي التي يرقق بعضها بعضًا، ويتبع بعضها بعضًا؛ فتموج موج البحر، وتضطرب وتهيج وتثور، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم يرى غيرها فيقول: هذه مهلكتي..؛ حتى يمر الرجل بقبر فيتمنى أن يكون مكان صاحبه من شدة الفتنة والبلاء .

وأخبر عنها ﷺ أنها تنزل كموقع القطْر؛ فعَنْ أُسَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ مِنْ الْآطَامِ[2] فَقَالَ :

---

(١) الفتنة الصماء :وهي التي لا سبيل إلى تسكينها؛ لتناهيها في دهائها ؛ لأن الأصم لا يسمع الاستغاثة، فلا يقلع عما يفعله. (النهاية:٣/٥٤ مادة: صمم) .

(٢) الأُطم: بناء مرتفع. وآطام المدينة: يعني أبنيها المرتفعة كالحصون. (النهاية، ١/٥٤، مادة: أَطَمَ) .

((هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟! إِنِّي أَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ))[1].

فكان أولها فتنة قتل الخليفة الراشد عثمان ﵁، على يد الأوباش ودعاة الشر الذين تألبوا عليه من العراق ومصر، فقتلوه ظلمًا وعدوانًا وهو في داره، بتحريض من ابن سبأ، (المعروف بابن السوداء[2]) اليهودي الخبيث، فنشأ منها افتراق المسلمين، وتشعب أهوائهم، وتكفير بعضهم بعضًا، وسفك بعضهم دماء بعض .

ففي الحديث عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا إِلَى حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ الْمَدِينَةِ لِحَاجَتِهِ وَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ - فذكر الحديث إلى أن قال : - ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَقُلْتُ : كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ لَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ مَعَهَا بَلَاءٌ يُصِيبُهُ))[3].

قَالَ ابْن بَطَّال - رحمه الله - : " إِنَّمَا خُصَّ عُثْمَان بِذِكْرِ

---

(١) رواه البخاري في فضائل المدينة، باب آطام المدينة (ح: ١٨٧٨)، وفي (ح: ٢٤٦٧، ح: ٣٥٩٧، ح: ٧٠٦٠). ومسلم في الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر (ح: ٢٨٨٥) .

(٢) هو : عبد الله بن سبأ اليهودي، رأس الطائفة السبئية، أصله من اليمن، كان يهوديًّا وأظهر الإسلام، قال ابن حجر: ابن سبأ من غلاة الزنادقة ضالٌّ مضلٌّ. (انظر: تهذيب ابن عساكر ٤٢٨/٧ ولسان الميزان لابن حجر ٢٨٩/٣ والأعلام للزركلي ٨٨/٤) .

(٣) رواه البخاري في الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (ح: ٧٠٩٧). ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان ﵁ (ح: ٢٤٠٣) .

الْبَلَاء مَعَ أَنَّ عُمَر قُتِلَ - أَيْضًا - لِكَوْنِ عُمَر لَمْ يُمْتَحَن بِمِثْلِ مَا امْتُحِنَ عُثْمَان مِنْ تَسَلُّط الْقَوْم الَّذِينَ أَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَنْخَلِع مِنْ الْإِمَامَة، بِسَبَبِ مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ مِنْ الْجَوْر وَالظُّلْم، مَعَ تَنَصُّله مِنْ ذَلِكَ وَاعْتِذَاره عَنْ كُلّ مَا أَوْرَدُوهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ هُجُومهمْ عَلَيْهِ دَاره، وَهَتْكهُمْ سِتْر أَهْله، وَكُلّ ذَلِكَ زِيَادَة عَلَى قَتْله "[1].

وهي الفتنة التي سأل عنها عمرُ حذيفةَ - رضي الله عنهما -، فأخبره أن بينه وبينها بابًا مغلقًا، وكان عمر ذلك الباب المغلق، وكان ﷺ صِمام الأمان لهذه الفتنة، وكان قتله كسرًا للباب، فلذلك لم يغلق ذلك الباب بعده أبدًا .

ففي الصحيحين عن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ ﷺ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ ؟.

قُلْتُ : أَنَا كَمَا قَالَهُ .

قَالَ : إِنَّكَ عَلَيْهِ - أَوْ عَلَيْهَا- لَجَرِيءٌ .

قُلْتُ : فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ .

قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنْ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ !

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١) .

قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا .

قَالَ : أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ ؟

قَالَ : يُكْسَرُ .

قَالَ : إِذًا لَا يُغْلَقُ أَبَدًا .

قُلْنَا[١]: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ ؟

قَالَ : نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ[٢].

فَهِبْنَا[٣] أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ؛ فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ : الْبَابُ عُمَرُ))[٤].

قوله: (تَمُوج كَمَوْجِ الْبَحْرِ) أَيْ تَضْطَرِب اضْطِرَاب الْبَحْر عِنْد هَيَجَانه، وهذا يدل على شِدَّة الْمُخَاصَمَة، وَكَثْرَة

---

(١) قَوْله (قُلْنَا) القائل هو: شَقيق بن سلمة راوي الحديث عن حذيفة . (انظر: فتح الباري لابن حجر ٨/٢) وشقيق بن سلمة هو: الإمام الكبير شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي أسد خزيمة الكوفي، مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه. (انظر ترجمته في :سير أعلام النبلاء ٤/١٦١) .

(٢) قَوْله (إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ) هُوَ بَقِيَّة كَلَام حُذَيْفَة، وَالْأَغَالِيط: جَمْع أُغْلُوطَة، وَهِيَ الَّتِي يُغَالَط بِهَا، فَمَعْنَاهُ حَدَّثْته حَدِيثًا صِدْقًا مُحَقَّقًا ليس فيه مرية ولا إيهام، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ صُحُف الْكِتَابِيِّينَ وَلَا مِنْ اِجْتِهَاد ذِي رَأْي بَلْ مِنْ حَدِيث النَّبِيّ ﷺ. (انظر: فتح الباري لابن حجر: ٦٠٦/٦، والنهاية : ٣٧٨/٣ مادة : غلط) .

(٣) قَوْله (هِبنا) القائل هو: شَقيق بن سلمة راوي الحديث عن حذيفة . انظر: فتح الباري، لابن حجر (٨/٢) .

(٤) رواه البخاري في مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة (ح: ٥٢٥) وفي (ح: ١٤٣٥، ح: ١٨٩٥، ح: ٣٥٨٦، ح: ٧٠٩٦). ومسلم في الفتن، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر (ح: ١٤٤) .

الْمُنَازَعَة، وَمَا يَنْشَأ عَنْ ذَلِكَ مِنْ الْمُشَاتَمَة وَالْمُقَاتَلَة، حتى يغبط الحي الميت تحت ضغط البلاء، ويتمنى أن يكون مكانه[1]؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ! وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلاَّ الْبَلاَءُ))[2].

قوله: (وَلَيْسَ بِهِ الدّيْن) " أَيْ لَيْسَ الدَّاعِي لَهُ عَلَى هَذَا الْفِعْل الدّيْن، وَإِنَّمَا الدَّاعِي لَهُ الْبَلاَء "[3].

وعَنْ وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: إِنِّي بِالْكُوفَةِ فِي دَارِي، إِذْ سَمِعْتُ عَلَى بَابِ الدَّارِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَأَلِجُ ؟.

قُلْتُ: عَلَيْكُمْ السَّلَامُ فَلِجْ، فَلَمَّا دَخَلَ فَإِذَا هُوَ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ.

قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَيَّةُ سَاعَةِ زِيَارَةٍ هَذِه - وَذَلِكَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ- ؟.

قَالَ: طَالَ عَلَيَّ النَّهَارُ؛ فَذَكَرْتُ مَنْ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ.

---

(1) انظر: شرح مسلم للنووي (١/٤٥٠). وفتح الباري لابن حجر (٦/٦٠٦).

(2) رواه البخاري في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور (ح: ٧١١٥). ومسلم - واللفظ له - في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت، من البلاء (ح: ١٥٧).

(3) شرح ابن ماجه للسندي، في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه (ح: ٤٠٣٧) في كتاب الفتن، باب شدة الزمان.

قَالَ : فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي عَنْ رَسُولِ اللهِّ ﷺ وَأُحَدِّثُهُ .
قَالَ : ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنِي قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ ﷺ يَقُولُ: ((تَكُونُ فِتْنَةٌ؛ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمُضْطَجِعِ، وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنْ الرَّاكِبِ، وَالرَّاكِبُ خَيْرٌ مِنْ الْمُجْرِي، قَتْلَاهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ)).
قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ ! وَمَتَى ذَلِكَ ؟ .
قَالَ : ((ذَلِكَ أَيَّامَ الْهَرْجِ)) .
قُلْتُ : وَمَتَى أَيَّامُ الْهَرْجِ ؟ .
قَالَ : ((حِينَ لاَ يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ)) .
قَالَ : قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ .
قَالَ : ((اكْفُفْ نَفْسَكَ وَيَدَكَ، وَادْخُلْ دَارَكَ)) .
قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ ! أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيَّ دَارِي ؟ .
قَالَ : ((فَادْخُلْ بَيْتَكَ)) .
قَالَ : قُلْتُ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي ؟ .
قَالَ : ((فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ، وَاصْنَعْ هَكَذَا – وَقَبَضَ بِيَمِينِهِ

عَلَى الْكُوعِ – وَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ حَتَّى تَمُوتَ عَلَى ذَلِكَ))[1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قـال: حَـدَّثَنَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَهَرْجًا)) قَالَ: قُلْتُ: يَـا رَسُـولَ اللهِ ! مَا الْهَرْجُ ؟ .

قَالَ: ((الْقَتْلُ)) .

فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا ؟!.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَـيْسَ بِقَتْـلِ الْمُـشْرِكِينَ، وَلَكِـنْ يَقْتُـلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَابْنَ عَمِّهِ، وَذَا قَرَابَتِهِ)).

فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَـا رَسُـولَ اللهِ ! وَمَعَنَـا عُقُولُنَـا ذَلِـكَ الْيَوْمَ ؟!.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ ، تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَـانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنْ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ))[2].

---

(١) رواه أحمد – واللفظ له- (٤٤٨/١). وأبو داود مختصراً في الفتن والملاحم، باب النهي عن السعي في الفتنة (ح: ٤٢٥٨). وابن أبي شيبة في الفتن، باب من كره الخروج في الفتنة (١٢٠/١٥ح: ١٩٢٧٦). والحاكم في الفتن والملاحم (٤٢٦/٤)، وقال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي. وصححه أحمد شاكر في شرحه وتحقيقه لمسند أحمد (١٤١/٦- ١٤٢).

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن، باب التثبت في الفتنة (ح: ٣٩٥٩). وأحمد (٤٠٦/٤). وأبويعلى في مسنده عن الحسن، عن أبي موسى الأشعري (ح: ٧٢٤٧، ح: ٧٢٥٥). ولكن الحسن لم يسمع من أبي موسى كما قال الذهبي في السير (٥٦٦/٤)، بل بينهما أَسيد المتشمس، كما في سند ابن ماجه وأحمد، وأَسيد هذا اختلف فيه؛ ذكره ابن المديني في المجهولين الذين روى عنهم الحسن البصري، وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٣٤٧/١) ولذا أعل به الحديث البوصيري في (مصباح الزجاجة ٢٩٠/٢ح:١٣٩١) حيث قال: "هذا إسناد فيه مقال، أَسيد بن [المتشمس] هو ابن

وهكذا وقعت الفتنة كما أخبر ﷺ، حيث أطلت برؤوسها بعد استشهاد عمر رضي الله عنه، وراح ضحيتها الأخيار من الصحابة والتابعين؛ في الجمل والصفين والحرة وغيرها، ولم تنقطع إلى الآن، فهي موجودة، وستبقى إلى يوم القيامة، إذا أخمدت نارها في جهة أو في زمان، سرعان ما يتأجج أوارها في جهة أخرى وفي زمان آخر، مصداقًا لما أخبر به ﷺ ؛ فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))(١).

ومن تدبر الحوارات السابقة في الأحاديث الواردة في هذه الفتنة عرف كيف تكون المداخل والمخارج، فقد كان حرص

عم الأحنف بن قيس، ذكره ابن المديني في مجهولي شيوخ الحسن، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات" اهـ. ولكن قال الحافظ في التقريب (الترجمة: ٥١٦): "أَسيد بن المتشمس - بضم الميم وفتح المثناة والمعجمة وتشديد الميم المكسورة بعدها مهملة —ابن معاوية التميمي السعدي، ابن عم الأحنف، ثقة من الثانية "اهـ. قال الألباني في الصحيحة (٢٤٨/٤): وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أسيد وهو ثقة كما قال الحافظ في التقريب" وصححه الألباني - أيضًا - في صحيح ابن ماجه (ح: ٣١٩٨).

(١) رواه الترمذي في الفتن ، باب حديث إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة (ح: ٢٢٠٢)، وقالَ: "حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ". وأخرجه أبو داود مطولاً في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها (ح:٤٢٥٢). وكذلك ابن ماجه مطولاً في الفتن، باب ما يكون من الفتن (ح: ٣٩٥٢). وأحمد (٢٧٨/٥ و ٢٨٤). والبيهقي في السنن الكبرى (١٨١/٩). كلهم من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصحح الألباني سند الحديث وقال: إنه على شرط مسلم (الصحيحة ٢٥٢/٤) وصححه أيضًا في صحيح أبي داود (ح: ٣٥٧٧) وصحيح الترمذي (ح: ١٧٩٣). وصحيح ابن ماجه (ح: ٣١٩٢).
ورواه أحمد - أيضًا - من حديث شداد بن أوس مطولاً (١٢٣/٤). وكذا الطبري في التفسير(١٤٤/٧). وقال الهيثمي في (المجمع: ٢٢١/٧): " رواه أحمد والبزار، رجال أحمد رجال الصحيح"اهـ. وقال ابن كثير في تفسيره (٢٦٨/٣): " إسناده جيد قوي"اهـ.

السلف من خلال أسئلتهم ودقتها واضحًا، وفيه دلالة واضحة على حرصهم على السلامة والنجاة من هذه الفتنة العمياء، نسأل الله العافية والسلامة .

الفصل الثاني

ذكر طائفة من الأخبار الواردة فيما هو كائن من الفتن وفيه مبحثان:

المبحث الأول : كمال شفقته ﷺ على أمته ونصحه لها :

لقد تركنا رسولنا الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - على المحجة البيضاء ، والطريقة السواء ؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك اتبع هواه .

ولم ينتقل ﷺ إلى ربه إلا وقد قام بالأمانة خير قيام، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وأتم به علينا النعمة، وميز ﷺ طريق الرشد والهداية عن طريق الضلال والغواية ، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[1].

فما من خير إلا دلنا عليه، وما من شر إلا حذرنا منه، فهو - بأبي وأمي - أرحم الخلق للخلق، وأرأف بأمته من الوالد الشفيق بأولاده، وأحرص الخلق على هدايتهم ونصحهم، ولن يبلغ أحدٌ مهما كانت حرقته وغيرته مبلغ الحبيب ﷺ في النصح للأمة

(١) سورة المائدة :[٣].

والشفقة عليها، فلنلزمْ نهجه، ولْنعضَّ على سنته بالنواجذ، فهو الرحمة المهداة، والمبعوث بالحنيفية السمحة؛ رحمةً للعالمين، وهاديًا للثقلين أجمعين، كما قال - عز شأنه - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقال - جلَّ في علاه - في رأفته ﷺ ورحمته بأمته : ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ؛ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا ؟!))[4].

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - أَنَّ

(١) سورة الأنبياء : [١٠٧] .
(٢) سورة آل عمران : [١٦٤] .
(٣) سورة التوبة : [١٢٨] .
(٤) رواه البخاري في الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (ح: ٦٤٨٣). ومسلم في الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (ح: ٢٢٨٤) .

النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهَّ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾[1]، الْآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2]؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : ((اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي)) وَبَكَى، فَقَالَ اللهُّ - عَزَّ وَجَلَّ - : يَا جِبْرِيلُ ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَام - فَسَأَلَهُ ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُّ : يَا جِبْرِيلُ ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ))[3].

وقَالَ ﷺ -فيما يرويه عنه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- : ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ . وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا . وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ؟! فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ

---

(١) سورة إبراهيم :[٣٦].

(٢) سورة المائدة :[١١٨].

(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته، وبكائه شفقة عليهم (ح: ٢٠٢) .

الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ. وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ؛ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ))[1].

لقد أخبر ﷺ - وهو الصادق المصدوق - في هذا الحديث أن العافية جُعلت في أول هذه الأمة، وأن البلاء واقع في آخرها، وأنه سيصيبها فتن تكتوي بنارها، وتخوض غمارها، كما قال ﷺ : ((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ))[2].

وها نحن اليومَ نعيشُ في زمنٍ كَثُرت فيه الفتنُ والقوارعُ والأزماتُ ، وعمَّت فيه الخطوبُ والنوازلُ والملمات ؛ قلَّما ينجو منها أحد ، ففي كلِّ وادٍ بنو سعد !! .

ولم يقف بيانه ﷺ عند تشخيص الداء وتحديده وبيان خطورته فقط، بل وصف الدواء الشافي، والعلاج الناجع، وبيَّن بيانًا واضحًا أن الخلاص يكمن في الاستمساك بحبل

---

(١) رواه مسلم في الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة، الأول فالأول (ح: ١٨٤٤) .

(٢) أخرجه البخاري في الفتن، باب ظهور الفتن (ح: ٧٠٦١) . ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (ح: ٢٦٧٢) .

صادق خالص ومتين من الدين، ولزوم هدي سيد المرسلين، والرجوع إلى الأمر الأول، على ضوء فهم الرعيل الأول، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

فمن العلاج الذي وجهه ﷺ إلى أمته نصحًا وشفقةً :

١ - **معاملة الآخرين بمثل ما تحب أن يعاملوك به** : قال ﷺ فيما يرويه عنه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - : ((وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ))[1]، وعندما نتأمل في واقع الناس في الفتن، وننظر إلى تصرفاتهم، نجد الْبُعد عن هذا الهدي النبوي الكريم، حيث يظلم بعضهم بعضًا، ونجد التجني على الأعراض، والكذب والافتراء، واتهام المقاصد والنيات..، نسأل الله العافية .

٢ - **التشبث بحبل الإيمان بالله واليوم الآخر** : وهو الذي يُدخل المؤمن الجنة، ويزحزحه عن النار؛ ويتجلى ذلك في قوله ﷺ : ((فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))[2].

٣- **الرجوع إلى الأمر الأول** : لأنه لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : قال ﷺ : ((إنها ستكُونُ فتنةٌ)) فقالُوا:

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم (ح: ١٨٤٤) . وقد تقدم تخريجه في (ص:) .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (ح: ١٨٤٤) . وقد تقدم تخريجه في (ص:) .

فكيفَ لنَا يا رسولَ الله ؟ وكيفَ نصنعُ ؟ قالَ : ((ترجعُونَ إلى أمرِكُم الأولِ))[1].

وقال ﷺ فيما يرويه عنه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ[2]، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ))[3].

٤- الافتراق زيغ وعذاب، ولزوم الجماعة رحمة وصواب: قال ﷺ فيما يرويه عنه معاوية رضي الله عنه: ((أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ،

---

(١) رواه الطبراني في "الكبير" (ح: ٣٣٠٧)، وفي "الأوسط" (٨/ ٢٩٤ح٨٦٧٩)، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (ح: ٣٠٩٨٨)، من حديث أبي واقد الليثي.
قال الهيثمي في (المجمع ٧/٣٠٣): "وفيه عبد الله بن صالح، وقد وثق؛ وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح"اهـ ولكن تابعه يحيى بن عبد الله بن بكير - عند الطحاوي في مشكل الآثار (٢/٦٨- ٦٩)- ، ويحيى هذا ثقة في الليث، كما في التقريب (الترجمة: ٧٥٨٠).

(٢) الْعِينَةُ :أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به. (النهاية، ٣/٣٣٣- ٣٣٤، والشرح الكبير لأبي الفرج المقدسي، ١١/ ١٩١، وما بعدها).

(٣) رواه أبو داود - واللفظ له- في البيوع، باب في النهي عن العينة (ح:٣٤٦٢). وأحمد بنحوه (٢/٢٨). والروياني في مسنده (ح:١٤٢٢). والدولابي في (الكنى، ٢/٦٥). وأبو يعلى في مسنده (ح: ٥٦٥٩). والطبراني في (الكبير، ح: ١٣٥٨٣، ح: ١٣٥٨٥). وأبو نعيم في (الحلية، ١/٣١٣- ٣١٤). والبيهقي في (الكبرى، ٥/٣١٦)، وقال: "روي ذلك من وجهين ضعيفين عن عطاء عن ابن عمر..". وتعقب ابنُ التركماني في (الجوهر النقي، المطبوع بحاشية السنن) قولَ البيهقي فقال: "قلت: ذكره ابن القطان من وجه صحيح عن عطاء عن ابن عمر فقال: نقلت من كتاب (الزهد) لأحمد بن حنبل قال: حدثنا الأسود بن عامر.." وذكر الحديث ثم قال: "ثم صححه أعني ابن القطان، وقال: هذا الإسناد كل رجاله ثقات..". وصححه أحمد شاكر في حاشية مسند أحمد (ح: ٤٨٢٥). وقال الألباني في (لصحيحة، (: ١١): "وهو حديث صحيح لمجموع طرقه".

وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)) [1] .

يحث الحديث على الحفاظ بالجماعة والوحدة، ويحذر من الافتراق، ويرشد إلى مقاومته ودفعه، واتخاذ كافة السبل الواقية من حدوثه، وليس معناه - كما قد يفهمه البعض - أن نستسلم له لأنه قدر مكتوب !!.

وعن بشير بن عمرو قال: شيعنا ابن مسعود حين خرج، فنزل في طريق القادسية، فدخل بستانًا فقضى الحاجة، ثم توضأ ومسح على جوربيه، ثم خرج وإن لحيته ليقطر منها الماء، فقلنا له : اعهد إلينا فإن الناس قد وقعوا في الفتن، ولا ندري هل نلقاك أم لا ؟ قال : " اتقوا الله واصبروا ، حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر، وعليكم بالجماعة ؛ فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة" [2].

---

(١) رواه أبو داود في السنة، باب شرح السنة (ح: ٤٥٩٧). والدارمي في الجهاد، باب في افتراق هذه الأمة (ح: ٢٥١٨). وأحمد (١٠٢/٤). والحاكم في المستدرك (١٢٨/١)، كتاب العلم، وقال بعد أن ساقه وساق حديث أبي هريرة - الذي سيأتي- : "هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث" ووافقه الذهبي. كما رواه الآجري في الشريعة، باب ذكر افتراق الأمم (ص: ١٨). وابن أبي عاصم في السنة، باب ذكر الأهواء المذمومة (ح:٢) وفي باب فيما أخبر به النبي ﷺ أن أمته ستفترق (ح: ٦٥). واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، سياق ما وري عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة (ح:١٥٠). وابن بطة في (الإبانة، ٣٧١/١ ح: ٢٦٨).
وقد جوَّد إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء قال: "ولأبي داود من حديث معاوية، وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك: "وهي الجماعة"، وأسانيدها جياد" (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ٢٣٠/٣). وحسنه ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ٦٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥/١٥). وقال الحافظ ابن حجر في (تلخيص الحبير، ١٦٢/٣): "إسناده صحيح، ومثله لا يقال من قبل الرأي".

٥- الاقتداء بهدي السلف: قال ﷺ فيما يرويه عنه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - : ((وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً)) قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))(١).

وقال العرباض بن سارية رضي الله عنه : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ!! فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟! فَقَالَ: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ! فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))(٢).

---

(١) رواه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (ح:٢٦٤١) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مُفَسَّرٌ لَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ". والآجري في الشريعة (٥١- ١٦). وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٢٦٦ح: ١). والحاكم في المستدرك (١/١٢٨- ١٢٩). وأشار إلى أن إسناده لا تقوم به الحجة؛ لأن فيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف، ولكن للحديث شواهد من حديث معاوية - الحديث السابق- ، وحديث عوف بن مالك وغيرهما، فيتقوى بها. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (ح: ٢١٢٩) وفي صحيح الجامع (ح: ٥٣٤٣).

فالأحاديث يفسر بعضها بعضاً؛ فقوله ﷺ (ما أنا عليه وأصحابي) في هذا الحديث هو منهج أهل السنة والجماعة التي هي الفرقة الناجية، ولذا ورد في حديث أبي هريرة وحديث عوف بن مالك (.. وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ).

(٢) رواه أبو داود في السنة، باب في لزوم السنة (ح: ٤٦٠٧). والترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ

إذًا الفهم الصحيح لحقيقة الإيمان بالله، والعض الحكيم الواعي على سنة المصطفى وخلفائه الراشدين، هو الأساس والأرضية الثابتة والقاعدة الصلبة التي ننطلق منها في الانفتاح على العالم الجديد، ومجابهة أنواع الفتن والشرور، واتقاء دواعيها وأسبابها، وتكون النجاة على مقدار هذا الفهم، والوعي بالإيمان، والالتزام بمنهج سيد الأنام ﷺ، ومن استن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين، كما قال ﷺ : ((إني قد تركتُ فيكُم شيئينِ لن تضِلُّوا بعدَهُمَا : كتاب اللهِ ، وسنتي))[1].

بالسنة، واجتناب البدعة (ح: ٢٦٧٦) وقال: "حديث حسن صحيح". وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (ح: ٤٣). وأحمد (١٢٦/٤). والدارمي في مقدمة سننه، باب اتباع السنة (ح: ٩٥). وابن حبان في صحيحه (الإحسان ١٠٤/١ح:٥). وابن أبي عاصم في السنة (٢٩/١). والآجري في الشريعة (ص: ٤٦). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٢٥/٧ح: ٢٢٩٧). والحاكم (٩٥/١- ٩٦) وقال: " حديث صحيح ليس له علة". ووافقه الذهبي. ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ح: ٢٣٠٣، ح: ٢٣٠٥، ح:٢٣١١). والبغوي في شرح السنة (٢٠٥/١، ح:١٠٢)، وقال : " حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (ح: ٤٠).

(١) رواه الحاكم (٩٣/١) من حديث أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح: ٢٩٣٧). ورواه الإمام مالك في الموطأ من حديث أنس بن مالك (٨٩٩/٢) في القدر، باب النهي عن القول بالقدر (ح: ٣). وهو معضل، وحديث أبي هريرة يشهد له، كما يشهد في التوصية بكتاب الله حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ : ((أَمَّا بَعْدُ : أَلا أَيُّهَا النَّاسُ ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، - فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: - وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ح: ٢٤٠٨). ورواه أحمد (٣٦٨/٤) وغيرهما.

والمراد: العلماء الصالحون من أهل البيت، والمتمسكون بالكتاب والسنة؛ بدلالة مقابلتهم بالثقل الأول، وهو القرآن، كما أشار إليه بعض الفضلاء. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (ح: ١٧٦١).

فالله - عز وجل - ضمن لمن أطاعه وأطاع رسوله خيري الدنيا والآخرة، حيث قال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1]؛ وتوعد من خالف ذلك وعدل عنه[2] في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[3].

فمقدار الضلال يكون بقدر البعد عن الكتاب والسنة، أو الشطط في فهم نصوصهما، أو المشاقة والالتواء عليهما.

وهكذا كان ﷺ في بيانه للدواء الشافي في الفتن، فلم يكتف بذكرها فقط، بل وضح وأبان المخرج، وسيأتي في طيات هذا البحث الكثير مما يوضح كمال شفقته ﷺ على أمته، وحرصه على لزومها الطريق الصحيح في التعامل مع الفتن والأزمات.

---

(١) سورة النساء: [٦٩].
(٢) انظر: الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، لابن بطة (١ / ٣٦٤ -٣٦٥).
(٣) سورة النساء: [١١٥].

المبحث الثاني :

معرفة الفتن المستقبلية للتخطيط والاستعداد :

فإخباره ﷺ بما هو كائن من الفتن إلى يوم القيامة وبتفاصيل دقيقة يدل على رحمته، وبالغ شفقته على أمته كما تقدم؛ ولكي يأخذوا حذرهم منها؛ فيتأهبوا ويكونوا على أتم الاستعداد للأخذ بأسباب النجاة؛ وذلك لأن الإنسان بطبيعة حاله مهما بالغت في تحذيره من خطر يهدده لا يمكن أن يتصور سبل النجاة ما لم تبين له طبيعة الخطر وحجمه، أما إن بَينت له حجم الخطر وطبيعته وأسبابه فيكون لديه استعداد مسبق للتخطيط الواعي، والبحث المستفيض عن سبل الخلاص منه، مما يجعله أقرب إلى تحديد طرق النجاة، وأدق في معرفتها .

وقد أخبرنا النبي ﷺ بدقائق الفتن وأنواعها، وكيفية مواجهتها، وأن حدوثها سنة الله في خلقه، وقضاؤه الكوني الذي لا يُرد؛ وأنه لا بد من توطين النفس على وقوع الفتن، والاستعداد لها، ومعرفة أسبابها ودواعيها، وطرق النجاة منها؛ كما في حديث أَبِي زَيْدٍ عَمْرو بْن أَخْطَبَ ﷺ قَالَ: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ؛ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ؛ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ

الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[1].

فإن قيل: هذا الحديث ينافي ما هو مشهور من خطبه ﷺ أنها كانت قصدًا؛ أي وسطًا بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق[2]. فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: ((كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا))[3].

قلتَ: لا تنافي بينهما، فخطبه المتعارفة كانت قصدًا، وأما ما حصل في هذه الخطبة فهو نادر اقتضاه المقام[4].

وكما في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه حيث قال: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنْ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ - : ((مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صِغَارٌ، وَمِنْهَا كِبَارٌ، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي))[5].

ولعل حذيفة رضي الله عنه يشير في قوله إلى هذه الخطبة: ((لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ

---

(١) رواه مسلم في الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (ح: ٢٨٩٢).
(٢) انظر: (النهاية، ٦٧/٤، وشرح النووي لمسلم، ٤٢٢/٣، في شرح حديث رقم: ٨٦٦).
(٣) رواه مسلم في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ح: ٨٦٦).
(٤) انظر: تحفة الأحوذي (٢١/٣).
(٥) رواه مسلم في الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (ح: ٢٨٩١).

عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ))[1].

وكما في حديث سَعْد بن أبي وقاص ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ؛ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: ((سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا ؛ فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا))[2].

وكما في حديث ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((إِنَّ اللهَ زَوَى[3] لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ[4]، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ[5]، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا

---

(١) رواه البخاري - واللفظ له - في القدر، باب: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] (ح: ٦٦٠٤). ومسلم في الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (ح: ٢٨٩١) .

(٢) رواه مسلم في الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (ح : ٢٨٩٠) .

(٣) زوى: جمع . يقال: زويته أزْويه زَيًّا . (النهاية، ٣٢٠/٢، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٢٤١/٩) .

(٤) السنة: القحط والجدب، قَوْله (وَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُك لِأُمَّتِك أَلَّا أُهْلِكهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّة) أَيْ لَا أُهْلِكهُمْ بِقَحْطٍ يَعُمّهُمْ ، بَلْ إِنْ وَقَعَ قَحْط فَيَكُون فِي نَاحِيَة يَسِيرَة بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَاقِي بِلَاد الْإِسْلَام . (النهاية، ٤٠٧/٢، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٢٤٢/٩) .

(٥) بيضتهم: أي مجتمعهم، وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم . وبيضة الدار: وسطها ومعظمها، أراد

يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى - أَوْ ثِنْتَيْنِ - وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتْ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى - أَوْ ثِنْتَيْنِ - وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً))(٢).

عدواً يستأصلهم ويُهلكهم جميعهم. قيل: أراد إذا أُهلِك أصلُ البيضة كان هلاك كل ما فيها من طُعْم أو فرخ، وإذا لم يهلك أصلُ البيضة ربما سلم بعض فراخها. (النهاية، ١٧٢/١، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٢٤٢/٩).

(١) رواه مسلم في الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (ح: ٢٨٨٩).

(٢) رواه أبو داود - واللفظ له - في السنة، باب شرح السنة، (ح: ٤٥٩٦). والترمذي في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (ح: ٢٦٤٠) وقال: "حديث حسن صحيح". وابن ماجه في الفتن، باب افتراق الأمم (ح: ٣٩٩١). وأحمد (٣٣٢/٢). وابن أبي عاصم في السنة، باب فيما أخبر به النبي ﷺ أن أمته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة (ح: ٦٦). وابن حبان في صحيحه (الإحسان ح: ٦٢١٤)، باب افتراق اليهود والنصارى فرقاً مختلفة. وأبو يعلى الموصلي في مسنده (ح: ٥٩١٠، ح: ٥٩٧٨، ح: ٦١١٧). وابن بطة في الإبانة (ح: ٢٧٣)، والحاكم في المستدرك، في كتاب الإيمان (٦/١) وقال: "هذا حديث كثر في الأصول، وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، واتفقا جميعًا على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة"، ورواه -أيضًا- في كتاب العلم (١٢٨/١)، وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه".

وقوله "وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو" فيه نظر؛ لأن مسلمًا روى له متابعة، ولذا رد عليه الذهبي بقوله: "ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفرداً، بل بانضمامه إلى غيره".

ومحمد بن عمرو هذا: هو ابن علقمة بن وقاص الليثي، مختلف فيه، وهو حسن الحديث. وقد قال الألباني: "..الذي استقر عليه رأي المحدثين من المحققين الذين درسوا أقوال الأئمة المتقدمين فيه أنه حسن الحديث يحتج به، ومن هؤلاء النووي والذهبي والعسقلاني وغيرهم" اهـ.

انظر: الجرح والتعديل (٣١/٨). وتهذيب التهذيب (٣٧٥/٩). والتقريب (ص: ٤٩٨). والسلسلة الصحيحة للألباني (ح: ٢٠٣).

فالحديث حسن، لكن له شواهد يصح بها، وقد صحح الحديث الشاطبي في الاعتصام (١٨٩/٢).

وقال ﷺ فيما يرويه عنه عبد الله بن عمرو - رضي الله عـنهما - : ((وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِـي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّـةً وَاحِـدَةً)). قَـالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))[1].

كل هذه الأحاديث وغيرها نستطيع أن نجعلها منهجًا واضحًا لمواجهة الفتن وكيفيـة التعامـل معهـا، ورسـم الخطـط والـبرامج في ضوئها، ووفق توجيهاتها، إن كنا حقًّا ممن يجتهد ويحـرص أن يكـون على ما كان عليه الحبيب ﷺ وأصـحابه؛ وإن كنـا حقًّـا عـازمين عـلى الرجوع إلى أمرنا الأول، كما يريده منا ديننا الحنيف.

ويا من أردت الحق! تأمل وتدبر، والزم السير عـلى مـنهج الحبيب ﷺ، فإن الفتنـة ظلـماء عميـاء دهمـاء!! تحتـاج إلى بـصر وبصيرة، وإلى تخطيط واضح واستراتيجيات، ولنكن وفق بيان المصطفى ﷺ، ولنتعلم معنـى الفتنـة، وأنواعهـا، والحكـم مـن وقوعها، إن أردنا السلامة والعافية.

وقال شيخ الإسلام بن تيمية في الفتاوى (٣/٣٤٥): " الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد". وصححه الحاكم وابن حبان كما تقدم.

(١) رواه الترمذي وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ح: ٥٣٤٣)، وقد تقدم تخريجه في (ص :).

الفصل الثالث
فوائد وحكم من وقـوع الفتنـة، وبعض النصـوص الـواردة فيها

من المعلوم المقرر لدى المحققين أن أفعـال الله -تعـالى- لا تخلو من حكمة وتعليل، سواء علمنا الحكمة أو جهلناهـا، لأن من أسمائه: "الحكيم"، ويقتضي هذا الاسـم ألا يخلـو شيء مـن خلقه وفعله من الحكمة، فهو سبحانه وتعالى لا يخلق عبثًا، ولا يوجِد سُـدًى؛ ﴿ وَمَـا خَلَقْنَـا الـسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَـا بَيْـنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُـونَ ﴾[1]. فلا يوجد هناك شر محض، ومن ذلك وقوع الفـتن، والافـتراق بين هذه الأمة، فهـو أمـر مكتـوب مقـدر، كـما سـبق ذكـره في الأحاديث الدالة على هذا، ومنها قوله ﷺ: ((سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثًـا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَـأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِـكَ أُمَّتِـي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَـا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا))[2].

قال ابن القيم - رحمه الله - : " فالفتنة لا بد منها في الـدنيا

(١) سورة الدخان: [٣٨ - ٣٩].

(٢) رواه مسلم في الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (ح: ٢٨٩٠)، وقد تقدم تخريجه في (ص:).

والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[1]، فالنار فتنة من لم يصبر على فتنة الدنيا[2].

وإليك بعض هذه الفوائد والحكم :

١ - الفتن تكشف عن معادن الناس، فهي كير القلوب، ومحك الإيمان، وبها يتبين الصادق من الكاذب، ويتميز الخبيث من الطيب، وإن الله - تعالى - يخلص بها الطيب من الخبيث؛ ليجعل الطيب مجاورًا له في دار كرامته، مختصًّا بفضله وكرمه، ورؤيته والقرب منه، ويجعل الخبيث في دار الهوان والمذلة مطرودًا من قربه ورحمته، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[3]. وقال تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[4]. وقال - سبحانه - : ﴿ مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[5].

وقال سبحانه : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا

(١) سورة الذاريات : [١٣ - ١٤].
(٢) إغاثة اللهفان (١٦٢/٢) .
(٣) سورة الأنفال : [٤٢] .
(٤) سورة الأنفال : [٣٧] .
(٥) سورة آل عمران : [١٧٩].

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[1].

" والاستفهام في قوله ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ للإنكار، والمعنى : أن الناس لا يُتركون دون فتنة؛ أي ابتلاء واختبار، لأجل قولهم: آمنا، بل إذا قالوا: آمنا فتنوا؛ أي امتحنوا واختبروا بأنواع الابتلاء، حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادقُ في قوله: آمنا من غير الصادق "[2].

قال ابن القيم – رحمه الله – : " فليتأمل العبد سياق هذه الآيات[3] وما تضمنه من العبر، وكنوز الحِكم، فإن الناس إذا أرسل الله إليهم الرسل بين أمرين :

إما أن يقول أحدهم: (آمنا)، وإما لا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر . فمن قال: (آمنا) امتحنه ربه، وابتلاه وفتنه، والفتنة: الابتلاء والاختبار، ليتبين الصادق من الكاذب.."[4].

وكم من الفتن المعاصرة كشفت لنا زيفًا، وأظهرت لنا مخبوءًا، وأبانت ظلمة...

---

(١) سورة العنكبوت:[٢ - ٣].
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (٦ / ٥٠٩) .
(٣) يقصد الآيتين السابقتين المذكورتين من بداية سورة العنكبوت، والآيتين اللتين بعدهما.
(٤) زاد المعاد (١١٠/٢) .

جزى الله الشدائد كل خير   وان جرعنني غصصًا بريقي
ومـا مدحي لها حبًّا ولكن   عرفت بها عدوي من صديقي

٢- إن وقوع الفتنة قضاء كوني، وقدر إلهي، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(١).

وإذا علم المرء أن الفتنة واقعة لا محالة قضاءً وقدرًا فيحذر منها، ومن أسبابها ودواعيها؛ لأن هذا من القدر الذي يقاوم بالقدر؛ فقد قال عمر ﷺ: "نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهَّ إِلَى قَدَرِ اللهَّ"(٢).

وقال الإمام الآجُرِّيُّ - رحمه الله - : "ثم اعلموا -رحمنا الله تعالى وإياكم- أن الله -عز وجل- قد أعلمنا في كتابه أنه لا بد من أن يكون الاختلاف بين خلقه؛ ليضل من يشاء، ويهدي من يشاء، جعل الله - عز وجل- ذلك موعظةً يتذكر بها المؤمنون، فيحذرون الفرقة، ويلزمون الجماعة، ويَدَعُون المراء والخصومات في الدين، ويتبعون ولا يبتدعون"(٣).

ثم إن كثيرًا من النصوص الواردة في الفتن تحمل في طياتها

---

(١) سورة هود: [١١٨- ١١٩].
(٢) رواه البخاري في الطب، باب ما يذكر في الطاعون (ح: ٥٧٢٩). ومسلم في السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (ح: ٢٢١٩). ضمن قصة خروج عمر ﷺ إلى الشام.
(٣) الشريعة للآجُرّي (ص: ٥).

تحذيرًا شديدًا من الوقوع فيها، والمؤمن المطلع على هذه النصوص يبقى يقظًا متأهبًا، يجيد التعامل معها، ويعرف سبل النجاة منها ومن شرها، فلا يُباغت، ولا يُوخذ على حين غرة، ثم إن هذه النصوص تولِّد لدى العبد هاجس الخوف من تلك الفتن، فمن خافَ عمِلَ، ومن عمِلَ سلِمَ، كما قال ﷺ: ((مَنْ خَافَ أَدْلَجَ [1]، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ))[2].

٣- العلم بالفتنة يساعد على تجنبها، ويزيد التمسك بطريق الهداية، واجتناب الغواية، لأن الأشياء بأضدادها تتبين[3]، ويعرف قدرها وقيمتها، فلولا المرض لما عرف أحدٌ

---

(١) أدلج - بالتخفيف - إذا سار أول الليل، وادَّلج - بالتشديد - إذا سار من آخره، ومعنى الحديث: أن من خاف الْبَيَاتَ وَالْإِغَارَةَ مِنْ الْعَدُوِّ وَقْتَ السَّحَرِ أَدْلَجَ، أي سَارَ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَمَنْ أَدْلَجَ وَصَلَ إِلَى الْمَطْلَبِ. (انظر: النهاية: ١٢٩/٢، وتحفة الأحوذي: ١٢٣/٧).

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة، باب في ثواب الإطعام..من خاف أدلج (ح: ٢٤٥٠)، وقال: "حسن غريب". ورواه عبد بن حميد في منتخبه (ح: ١٤٥٨). والعقيلي في الضعفاء (٣٨٣/٤). والحاكم (٣٠٧/٤ - ٣٠٨)، من حديث أبي هريرة. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وتصحيح الحاكم فيه نظر، وكذا متابعة الذهبي؛ لأن فيه يزيد بن سنان، قال الذهبي في المغني (٧٥٠/٢): "ويزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي، مشهور، ضعفه أحمد وابن المديني". وقال العقيلي: يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي الجزري لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به، قال يحيى: ليس بشيء" (الضعفاء ٣٨٢/٤). وقال الحافظ في التقريب (الترجمة ٧٧٢٧): "ضعيف".

ولكن للحديث شاهد جيد من حديث أبي بن كعب، أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٧٧/٨)، وقال: غريب تفرد به وكيع عن الثوري بهذا اللفظ"؛ ولكن تابعه عبد الله بن الوليد العدني فيما رواه الحاكم (٣٠٨/٤). والحديث يصح بهذا الشاهد. قال الألباني في (الصحيحة ح: ٢٣٣٥) بعد أن ذكر هذا الشاهد، "وبالجملة؛ فالحديث بهذا الشاهد صحيح". وصححه أيضًا في صحيح الترمذي (ح: ١٩٩٣).

(٣) يقول المتنبي (ديوانه، ٢٢/١): ونذيمهم وبهم عرفنا فضله   وبضدها تتبين الأشياء.
ومثله يقول المنبجي: ....   والضد يُظهرُ حسنَه الضدُّ.

قدر الصحة والعافية ! ومن هنا جاءت مقولة : " من لا يعـرف الجاهلية لا يعرف الإسلام ". وقال الشاعر :

لعل عتبـك محمـود عـواقبـه
وربـما صحـت الأجـسـام بالعـلل

وقال آخر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وكان هذا هو الباعث لحذيفة ﵁ في سـؤال رسـول الله ﷺ عن الفتنة والمنافقين، كما يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْـتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّـةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَـا اللَّهُ بِهَـذَا الْخَـيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟.

قَالَ : ((نَعَمْ)) .

قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ .

قَالَ : ((نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ)) .

قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ .

قَالَ : ((قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)) .

قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ .

قَالَ : ((نَعَمْ ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَـنْ أَجَـابَهُمْ إِلَيْهَـا قَذَفُوهُ فِيهَا)) .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِّ! صِفْهُمْ لَنَا .

فَقَالَ : ((هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)) .

قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ .

قَالَ : ((تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)) .

قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟

قَالَ : ((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ؛ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))[1].

٤ – إن كثيرًا من هذه النصوص التي تتكلم عن الفتن فيها بيان العلاج وسبل النجاة كما هو واضح من حديث حذيفة الآنف الذكر .

وكحديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – ؛ حيث جاء فيه : ((وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً)) . قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟ قَالَ : ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))[2].

وكحديث عَبْدِ اللهِّ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: ((خَطَّ لَنَا رَسُولُ

---

(١) رواه البخاري في الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (ح: ٧٠٨٤). ومسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة (ح: ١٨٤٧) .

(٢) رواه الترمذي وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ح: ٥٣٤٣)، وقد تقدم تخريجه في (ص:).

اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾(١)))(٢).

٥- في هذه النصوص سبب وباعث قوي لتوبة المتلبسين بالفتنة حين يرون من الآيات والعلامات ما يبين لهم فساد ما هم عليه، فيفيق الخائض في الفتنة، ويتفتق عقله، وتتفتح عيناه على أنوار الهدي النبوي، مما يحدوه إلى الإقلاع عما هو عليه، ومراجعة السمت المستقيم، واتباع نهج الأمة المعصومة(٣).

٦- فيها تقوية ودعم لإيمان الذين نُقلت إليهم هذه الأخبار، حيث يجدون الوقائع المطابقة لها؛ فيقولون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾(٤) فيزيدهم

---

(١) سورة الأنعام: [١٥٣].

(٢) رواه أحمد (٤٣٥/١، ٤٦٥). والنسائي في السنن الكبرى (٣٤٣/٦ ح: ١١١٧٤) في التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾. والدارمي في مقدمة سننه، باب في كراهية أخذ الرأي (٧٨/١ ح: ٢٠٢). وابن حبان في صحيحه (الإحسان ١٨١/١ ح٧). والحاكم (٣١٨/٢)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في (المجمع ٢٢/٧): "رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة فيه ضعف"اهـ.
وعاصم بن بهدلة إمام حجة في القراءة، وحديثه في الصحيحين مقرون.
انظر: التقريب (الترجمة: ٣٠٥٤) وحديثه حسن؛ قال الألباني في (ظلال الجنة في تخريج السنة ١٣/١): "إسناده حسن، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عاصم وهو ابن أبي النجود، وهو حسن الحديث".

(٣) انظر: صفة الغرباء، (٢/ ١٣).

(٤) سورة الأحزاب: [٢٢].

إيمانًا وتسليمًا .

إضافةً إلى تقوية ودعم وتجديد لإيمان ناقليها الذين سمعوها من النبي ﷺ حيث يتحول يقينهم إلى عين اليقين؛ حين يشاهدون عيانًا بعض ما أخبرهم به الصادق المصدوق ﷺ(١)، كما حصل لعلي رضي الله عنه في قصة ذي الثديَّة في قتاله للخوارج.

فعن زَيْد بْن وَهْبٍ الْجُهَنِيّ أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ)) .

لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَنْ الْعَمَلِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ ؛ فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ، وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ؟!.

---

(١) انظر : صفة الغرباء ، (٢/ ١٢) .

وَاللهَّ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهَّ .

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ (أحد رواة الحديث)... فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللهَّ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ لَهُمْ : أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمْ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ .

قَالَ : وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنْ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: الْتَمِسُوا فِيهِمْ الْمُخْدَجَ[1]، فَالْتَمَسُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُّ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ .

قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ ؟ .

فَقَالَ : إِي وَاللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ))[2].

---

(١) الْمُخْدَج: الناقص، الخِداج: النقصان، يقال: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق. (النهاية : ١٢/٢).

(٢) رواه مسلم في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (ح: ١٠٦٦).

٧- أن فيها عَلَمًا من أعلام النبوة، حيث أخبر بما سيكون، فوقع كما أخبر، فهذا يدل على أنه تلقى هذه الأخبار من عالم الغيب الذي لا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول، وهذا يزيد المؤمن يقينًا بنبيه ورسالته، وثباتًا على الطريق .

٨- الاعتبار بحال من وقعوا في الفتنة، واكتووا بنارها، لأن " السَّعِيد مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ "(١) كما قال ابن مسعود رضي الله عنه .

وقال الشاعر :

إن السعيد له من غيره عظة   وفي التجارب تحكيم ومعتبر

٩- التربية بالحدث، لا شك أن مشاعر الناس وأحاسيسهم ومدى تقبلهم وتأثرهم بأساليب التربية مختلفة متفاوتة؛ فهناك نفوس يحركها الإيماء والإشارة، فلا تحتاج معها إلى التصريح والتكرار، وهناك نفوس تحركها المواعظ والكلمات؛ وبالمقابل، فإن هناك نفوسًا لا يؤثر فيها الإيماء ولا السماع، ولا تحركها مواعظ وكلمات وإن كانت كالقذائف ومن العيار الثقيل، خاصة تلك التي أصابها اليأس والقنوط، أو الخمول والتبلد، فحينها تحتاج هذه النفوس إلى التربية بالحدث، فلا تحس إلا حينما تشاهد وترى، فعندها تتأثر

---

(١) رواه مسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته (ح: ٢٦٤٥).

وتتفاعل وتفور وتجيش، ويزول ما بها من اليأس والقنوط والتبلد والخمول، ففي هذه الحالة تحتاج تلك النفوس إلى الترشيد والتوجيه والتربية الصحيحة؛ حتى لا تخرج من طورها، فتكون أداة تدمير وخراب من حيث تحسب أنها تحسن صنعًا، وهنا تظهر الحكمة من وقوع الفتن والأزمات، فالقوارع سياط ناجعة في تربية وتهذيب النفوس .

ومن هذا القبيل ما يُشاهد من حال بعض من تغرَّب من المسلمين عن أوطانهم إلى دول غربية، فلم يكن لهم أي دور يُذكر في أوطانهم الأصلية، وكان الخمول يحيط بهم من كل جانب، بل لم يكن لهم استقامة صحيحة في دينهم، ولكنهم عندما تغربوا ورأوا ما رأوا من الفتن والتحديات استيقظت مشاعرهم، وأنَّبتهم ضمائرهم، وتحركت غيرتهم على دينهم وثوابتهم، فصاروا مُثلاً للاستقامة، وشعلة من النشاط في سبيل خدمة الدين، والدعوة إليه، وصدق المتنبي إذ يقول :

.... وفي التجارب بعد الغي ما يَزَعُ[1]

ويمكن لنا أن نضرب مثلاً واقعيًّا من الحياة للتوضيح، فلاّح غيور -مثلاً- يرجع مساءً من عمله اليومي بعد أن

(١) ديوانه مع شرح العكبري (١/١٣٨). الغي: الفساد. يزع: يكفُّ.

استنفد قواه وطاقته في العمل بحيث لا يتحمل الزيادة، فتوجه إلى بيته ليستريح ويسترجع ما نفد من طاقته، وفي الطريق وجد امرأة يريد ظالم التعدي عليها وهي تصرخ وتستنجد، فكيف يكون حال الفلاح الغيور ؟ هل يعرض عن نجدة المرأة بحكم إرهاقه وتعبه؟ أم أن طاقة مخبأة له تتحرك في هذه الحالة، فيقوم كالأسد الضاري مزمجرًا ومهددًا المعتدي بالويل والثبور، وينقذ المرأة من براثنه الخبيثة مهما كانت قوته وبطشه ؟ وقد فعل؛ فمن أين له هذه القوة والطاقة ؟! أما كان منهكًا ومتعبًا لا يمكن له مواصلة عمله اليومي ؟!!.

وهكذا بعض النفوس التي يُظن أنها فاقدة الغيرة وبليدة الشعور والإحساس، وميتة الضمير، ولكن عندما يعتصرها حدث، أو تهزها قوارع وفتن، تتحرك القوى الكامنة في هذه النفوس، فتستيقظ وتنتبه تحت ضغط سياط هذه القارعة .

وهذا مشاهد محسوس مع كل حدث أو فتنة، حيث كثرت الأسئلة والاستفسارات عن قرب قيام الساعة وعن علاماتها وفزع البعض مع سرعة الندم والتوبة منهم .

١٠ - أن المسلم الصادق إذا سمع بهذه الأخبار المروية عن النبي المختار ﷺ تولّد لديه الخوف والانكسار، والذل والافتقار؛ للعلي الغفار، فيتعوذ به منها، ويسأله أن يعينه عليها، ويجنبه منها، ويصدق في التضرع واللجاءة إليه، كما

يُظهر العبد المسلم التسليم لقضاء الله وقدره، فهذه الأمور كلها عبادات يحب الله أن يراها في عباده، ليوفي لهم أجرهم، ويزيدهم من فضله .

وهكذا كان حال نبينا ﷺ مع أنه رسول رب العالمين، وأشرف الخلق والناس أجمعين، فكان إذا عصفت الريح - مثلاً - تعوذ منها، فعُرف الخوف في وجهه الشريف؛ فعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا ، وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ))

قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: ((لَعَلَّهُ - يَا عَائِشَةُ - كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾(١)))(٢).

وقال ﷺ : ((سَتَكُونُ فِتَنٌ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، مَنْ

---

(١) سورة الأحقاف : [٢٤].

(٢) رواه مسلم في صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر (ح: ٨٩٩).

تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ))[١].

وكان ﷺ يتعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأمرنا أن نتعوذ بالله منها، كما في صحيح مسلم من حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قال: قَالَ ﷺ : ((تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، قَالُوا نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ))[٢].

ومن كمال شفقته ﷺ علينا أنه علَّمنا التعوذ بالله من فتنة المحيا والممات، عدة مرات كل يوم، دبر كل صلاة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ))[٣].

بل كان ﷺ يعلِّم أصحابه - رضي الله عنهم - هذا الدعاء كما يعلِّمهم السورة من القرآن؛ ففي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي

---

(١) رواه البخاري (ح:٧٠٨١، ٧٠٨٢). ومسلم في الفتن (ح: ٢٨٨٦)، وقد تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم في الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (ح: ٢٨٦٧).

(٣) رواه البخاري في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (ح: ١٣٧٧). ومسلم - واللفظ له - في المساجد، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة (ح: ٥٨٨).

الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ؛ يَقُولُ : ((قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))(١).

١١- أن العبادة في الفتنة والهرج لها فضل كبير، وأجرها عظيم، فالمؤمن الصادق في إيمانه يقي نفسه من الفتنة، ويستغل هذه الفرصة ويستثمرها في تثقيل ميزانه، وزيادة درجاته؛ فيكثر من العبادات، فتكون حافزًا ومنشطًا في الإقبال على الله.

فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))(٢). " الْمُرَاد بِالْهَرْجِ هُنَا: الْفِتْنَة وَاخْتِلَاط أُمُور النَّاس"(٣)، كما جاء مصرحًا به في لفظ أحمد وغيره : ((الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَالْهِجْرَةِ إِلَيَّ))(٤).

قال ابن رجب الحنبلي : " وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم، ولا يرجعون إلى دين؛ فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية؛ فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه،

---

(١) رواه مسلم في المساجد، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة (ح: ٥٩٠).
(٢) رواه مسلم في الفتن، باب فضل العبادة في الهرج (ح: ٢٩٤٨).
(٣) شرح مسلم للنووي (٣١٣/٩).
(٤) رواه أحمد (٢٧/٥). وابن أبي شيبة في مصنفه (٦٩/٧، ح: ٣٧٢٩٩). والطبراني في المعجم الكبير (٢١٣/٢٠ ح: ٤٩٢).

ويعبد ربه، ويتبع مراضيه، ويجتنب مساخطه، كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به، متبعًا لأوامره، مجتنبًا نواهيه . ومنها أن المنفرد بالطاعة من أهل المعاصي والغفلة قد يدفع به البلاء عن الناس كلهم؛ فكأنه يحميهم ويدافع عنهم"[1].

وقال النووي: " وَسَبَب كَثْرَة فَضْل الْعِبَادَة فِيهِ (أي الهرج) أَنَّ النَّاس يَغْفُلُونَ عَنْهَا، وَيَشْتَغِلُونَ عَنْهَا، وَلَا يَتَفَرَّغ لَهَا إِلَّا أَفْرَاد "[2]؛ وذلك لاشتغال الناس بالقيل والقال، وتتبعهم للأخبار والشائعات بدل اللجاءة والفزع إلى الله، وأيضًا لانتشار المعاصي والذنوب وظهورها، وغلبة الباطل وأهله، وقلة الاعتناء بالدين، بل يكون شغل الناس الشاغل أمر دنياهم، ومن ثَم عظم قدر العبادة أيام الفتنة، ولذا ورد الحث بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة في الفتنة ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا))[3].

---

(١) لطائف المعارف، لابن رجب (ص: ١٤٧) .

(٢) شرح مسلم للنووي (٩/٣١٣) .

(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (ح: ١١٨).

ومن هذا ما ورد من الثواب العظيم والأجر الكبير في حق من دخل السوق وذكر الله -سبحانه- فيها؛ لأن السوق مظنة الغفلة واللهو، والانشغال عن الذكر، بل أصبحت أغلب الأسواق محطة لأضر الفتن على الرجال[1]، وهي فتنة النساء، قَالَ ﷺ : ((مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ))[2].

---

(١) قَالَ ﷺ: ((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ)). رواه البخاري في النكاح، باب ما يُتقى من شؤم المرأة (ح: ٥٠٩٦). ومسلم في الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء(ح: ٢٧٤٠ ، ٢٧٤١).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق (ح: ٣٤٢٩)، وابن ماجه في التجارات، باب الأسواق ودخولها (ح: ٢٢٣٥). وأحمد (٤٧/١). وابن السني في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا دخل السوق (ح: ١٨٢). والطبراني في الدعاء، باب القول عند دخول الأسواق (ح: ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١). والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩١/١)؛ كلهم من طريق عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن جده. وعمرو بن دينار هذا تكلموا فيه كثيراً؛ قال الهيثمي في (المجمع ١٤٧/١): "وهو متروك الحديث" اهـ. وقال الحافظ في التقريب (الترجمة ٣٠٩) : ضعيف .

ولكن تابعه غير واحد، منهم محمد بن واسع، قال: " قدمت مكة، فلقيني أخي سالم بن عبد الله ابن عمر، فحدثني عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال:..."الحديث. رواه الترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق (ح: ٣٤٢٨)، وقال: حديث غريب. والدارمي في الاستئذان، باب ما يقول إذا دخل السوق (ح: ٢٦٩٢). والحاكم (٥٣٨/١). والطبراني في الدعاء (٧٩٢). والعقيلي في الضعفاء (١٣٣/١). وابن عدي في الكامل (٤٣٠/١). وأبو نعيم في الحلية (٣٥٥/٢). كلهم من طريق يزيد بن هارون عن أزهر بن سنان، وهو أبو خالد البصري، وأزهر هذا وإن كان ضعيفاً - كما قال الحافظ في التقريب (الترجمة ٣٠٩)- إلا أنه يعتبر به، وحديثه صالح، قال ابن عدي: " ولأزهر بن سنان غير ما ذكرت أحاديث وليس بالكثير، وأحاديثه صالحة ليس بالمنكرة جداً، وأرجو أنه لا بأس به". (الكامل ٤٣٠/١) .

قَالَ الطِّيبِيُّ : " خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مَكَانُ الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالِاشْتِغَالِ بِالتِّجَارَةِ، فَهُوَ مَوْضِعُ سَلْطَنَةِ الشَّيْطَانِ، وَمَجْمَعُ جُنُودِهِ، فَالذَّاكِرُ هُنَاكَ يُحَارِبُ الشَّيْطَانَ، وَيَهْزِمُ جُنُودَهُ، فَهُوَ خَلِيقٌ بِمَا ذُكِرَ مِنْ الثَّوَابِ" [1] انتهى .

فيا الله ! كم نسبة الذين يتذكرون هذا الذكر عند دخولهم السوق ؟!.

١٢- ومن الفوائد -أيضًا- استخراج عبودية السراء والضراء من المسلم؛ لأنه إذا قاوم الفتنة، واجتنب أسبابها ودواعيها، فيؤجره الله على هذا العمل .

وأما إذا لم يسلم من شر الفتنة مع تجنب أسبابها، وبذل الجهد في سبيل الابتعاد عنها؛ وأصابه من شرها، واكتوى بنارها، فصبر عليها فتكون خيرًا له أيضًا، فهو مأجور في الحالتين، كما قَالَ ﷺ : ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ

قال المنذري في الترغيب والترهيب بعد أن عزا الحديث إلى الترمذي (٢٩٥/٢): " وإسناده متصل حسن، ورواته ثقات أثبات، وفي أزهر بن سنان خلاف، وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به"اهـ. وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ فِي " تُحْفَةِ الذَّاكِرِينَ" وَالْحَدِيثُ أَقَلُّ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ حَسَنًا ، وَإِنْ كَانَ فِي ذِكْرِ الْعَدَدِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ نَكَارَةٌ . (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٢٤٥٠/٢).وحسن الحديث الألباني في صحيح الترمذي (ح: ٢٧٢٦) وفي صحيح ابن ماجه (ح: ١٨١٧) .

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٢٧٢/٩) .

صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[1]. وقال ﷺ أيضًا : ((عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ ! إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْضِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ))[2].

وعَنْ المِقْدَادِ ابْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: ايْمُ اللهَّ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : ((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا[3]))[4].

١٣- ومن فوائد الفتن كذلك، تخفيف العذاب، وتكفير السيئات، فمن رحمة الله -سبحانه- على هذه الأمة أنه ما تصيبها مصيبة إلا كفر الله بها من خطاياه، حتى الشوكة يشاكها المسلم، فقد قَالَ ﷺ : ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (ح: ٢٩٩٩) .

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد مسند أبيه (٢٤/٥). وأبو يعلى في مسنده بنحوه (ح: ٤٠١٩ ، ح: ٤٢١٧ ، ح: ٤٢١٨)، من حديث أنس بن مالك؛ قال الهيثمي في (المجمع، ٢١٠/٧) : "رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه إلا أنه قال: تبسم رسول الله ﷺ ثم قال: فذكره، ورجال أحمد ثقات، وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح غير أبي بحر ثعلبة ، وهو ثقة"اهـ. وثعلبة هذا هو ابن مالك أبو بحر مولى أنس؛ قال أبو حاتم: " صالح الحديث" (الجرح والتعديل، ٤٦٤/٢)، ووثقه ابن حبان (الثقات لابن حبان، ٩٩/٤). وقال الألباني في (الصحيحة، ح: ١٤٨): "سنده صحيح، رجاله كلهم ثقات غير ثعلبة هذا ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات.."اهـ. ويشهد له الحديث الذي قبله .

(٣) واهًا : كلمة معناها التلهف والتحسر ، أي واهًا لمن باشر الفتنة وسعى فيها. وقد توضع للإعجاب بالشيء، أي ما أحسنَ وأطيبَ صبرَ من صبر عليها (النهاية ١٤٤/٥ ، وعون المعبود في شرح سنن أبي داود ص: ٨٢٦، ط: بيت الأفكار الدولية في مجلد واحد) .

(٤) رواه أبو داود - واللفظ له- ، باب في النهي عن السعي في الفتنة (ح: ٤٢٦٣). والطبراني في "الكبير" مطولاً (٢٠/ ح:٥٩٨)، وكذا أبو نعيم في الحلية (١٧٥/١). وعزاه الألباني - أيضًا- في الصحيحة (ح: ٩٧٥) إلى أبي القاسم الحنائي في "الثالث من الفوائد" (١/٨٢)... ثم قال الألباني: "وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم" ، وصححه أيضًا في صحيح أبي داود (ح: ٣٥٨٥) .

وَصَبٍ(١)، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))(٢).

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا: الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ))(٣).

وليس المراد نفي مطلق العذاب جمعًا بين النصوص التي

---

(١) النصب: التعب، وقد نَصِبَ يَنْصَبُ، ونصبه غيره وأنصبه. والوصب: دوام الوجع ولزومه، وقد يُطلق الوصب على التعب، والفتور في البدن. (النهاية ٥/٦٢ مادة: نَصَبَ، و٥/١٩٠، مادة: وَصَبَ).

(٢) رواه البخاري - واللفظ له - في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (ح: ٥٦٤١، ٥٦٤٢). ومسلم في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (ح: ٢٥٧٣).

(٣) رواه أبو داود في الفتن والملاحم، باب ما يرجى في القتل (ح: ٤٢٧٨). وأحمد (٤/٤١٠ و٤١٨). والحاكم (٤/٤٤٤) من طريق المسعودي عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى مرفوعًا.

والمسعودي فيه كلام، قَالَ الْمُنْذِرِيُّ فِي (مختصر سنن أبي داود ٦/١٥٥): "فِي إِسْنَاده الْمَسْعُودِيّ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود الْهُذَلِيّ الْكُوفِيّ، اسْتَشْهَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ وَتَكَلَّمَ فِيهِ غَيْر وَاحِد. وَقَالَ الْعُقَيْلِيُّ: تَغَيَّرَ فِي آخِرِ عُمْرِه فِي حَدِيثه اضْطِرَاب. وَقَالَ ابْن حِبَّان الْبُسْتِيّ: اخْتَلَطَ حَدِيثه فَلَمْ يَتَمَيَّز فَاسْتَحَقَّ التَّرْك" انتهى كلام المنذري.

وقد صحح إسناد الحديث الحاكم (٤/٤٤٤)، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في "بذل الماعون" (٢/٥٤ كما في الصحيحة ٢/٦٨٥): "سنده حسن".

وقال الألباني معقبًا عليهم: ..كذا قالوا، والمسعودي كان اختلط. ولكن الحديث صحيح؛ فقد أخرجه أحمد (٤/٤٠٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/٣٨- ٣٩)، والطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني ح: ٥)، والقاضي الخولاني في (تاريخ داريا ص: ٨٢- ٨٣)، وأبو بكر الكلاباذي في (مفتاح المعاني ١/١٥٤)، والواحدي في (الوسيط ١/١٢٨/١) من طرق أخرى كثيرة عن أبي بردة به...، ثم أخرجه الحاكم (١/٤٩ و٤/٢٥٤)، وكذا الطحاوي في (المشكل ١/١٠٥)، والخطيب في (التاريخ ٤/٢٠٥) من طريق أبي حصين عن أبي بردة عن عبد الله ابن يزيد مرفوعًا بلفظ: ((جعل عذاب هذه الأمة في دنياها)) وقال الحاكم والزيادة له: "صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي، وإنما هو على شرط البخاري وحده؛ فإن أبا بكر بن عياش لم يخرج له مسلم. انتهى كلام الألباني

وصححه الألباني - أيضًا - في (صحيح أبي داود، ح: ٣٥٩٧). كما صححه العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء)؛ نقلا عن (إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٩/١٧٥).

وردت بتعذيب أهل الكبائر إن لم يُغفر لهم ، قال صاحب (فتح الودود) في معنى الحديث: " أَيْ إِنَّ الْغَالِب فِي حَقّ هَؤُلَاءِ الْمُغْفِرَة".

وَقَالَ الْقَارِئ فِي (الْمِرْقَاة): " بَلْ غَالِب عَذَابهمْ أَنَّهُمْ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالْمِحَنِ وَالْأَمْرَاض وَأَنْوَاع الْبَلَايَا كَمَا حُقِّقَ فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[1] انتهى[2] .

والتحقيق في معنى الآية هو ما ذكره ابن بطال؛ حيث قال: " ذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ إِلَى أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الْمُسْلِمَ يُجَازَى عَلَى خَطَايَاهُ فِي الدُّنْيَا بِالْمَصَائِبِ الَّتِي تَقَعُ لَهُ فِيهَا فَتَكُونُ كَفَّارَةً لَهَا " [3].

ففي (صحيح مسلم) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ بَلَغَتْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ؛ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا [4]، أَوْ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا))[5].

١٤- ومنها أن المسلم يكون له عند الله المنزلة الرفيعة فما

---

(١) سورة النساء :[١٢٣].
(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (ص: ١٨٣١)، بيت الأفكار الدولية في مجلد واحد.
(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/١٠٤) .
(٤) قوله: (حتَّى النُّكْبَة يَنْكُبهَا) وَهِيَ مِثْل الْعَثْرَة يَعْثُرهَا بِرِجْلِهِ، وَرُبَّمَا جُرِحَتْ أُصْبُعه، وَأَصْل النَّكْب الْكَبّ وَالْقَلْب . (شرح مسلم للنووي، ٨/٣٧٥، والنهاية، ٥/١١٢) .
(٥) رواه مسلم في البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ..حتى الشوكة يشاكها (ح: ٢٥٧٤) .

يبلغها بعمله، فيقيِّضُ الله له من الأسباب ما توصله إليها، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ يُـرِدْ اللَّهُ بِـهِ خَـيْرًا يُصِبْ مِنْهُ))[1]، أي يَبْتَلِيه بِالْمَصَائِبِ لِيُثِيبَـهُ عَلَيْهَـا[2]. ذكـر ابـن القيم - رحمه الله - في (زاد المعاد) " أنه - سبحانه وتعالى - هيَّأ لعبـاده المـؤمنين منـازل في دار كرامتـه، لم تبلغهـا أعمالهـم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالابتلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التـي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه"[3]. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((إنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ له عنـدَ الله المنزلـةَ فـما يبلغُهَا بعمل، فما زالَ اللـهُ يبتليهِ بما يكرهُ حتى يُبَلِّغَهُ إيَّاهَا))[4].

١٥ - ومنها علاج مرض الطغيان والركـون إلى العاجلـة، كما ذكر ابن القيم -رحمه الله- " أن النفوس تكتـسب مـن العافيـة الدائمة والنصر والغنى طغيانًا وركونًا إلى العاجلة، وذلك مـرض يعوقها عن جِدِّها في سيرها إلى الله والـدار الآخـرة، فـإذا أراد بهـا

---

(١) رواه البخاري في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (ح: ٥٦٤٤).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/١٠٨).

(٣) زاد المعاد (٣/٢٢١).

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (ح: ٦٠٩٥)، وعنه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ح: ٢٨٩٧)، قال الهيثمي في (المجمع، ٢/٢٩٢): "رواه أبو يعلى، وفي رواية له (يكون له عند الله المنزلة الرفيعة) ورجاله ثقات". ورواه الحاكم (١/٣٤٤) من طريق يونس بن بكير، حدثنا يحيى بن أيوب البجلي، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو هريرة (فذكر الحديث)، ثم صححه؛ وقال الألباني في (الصحيحة، ح:١٥٩٩): "وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير البجلي هذا، وهو كما قال الحافظ: لا بأس به".

ربها ومالكها وراحمها كرامته قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواءً لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليلَ الدواءَ الكريهَ، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه لغلبتْهُ الأدواء حتى يكون فيها هلاكه "[1].

(1) زاد المعاد (٣/٢٢١).

أبيض

الخاتمــة

وفي الختام أشير إلى التوصيات وأهمِّ النتائج التـي توصـل إليها البحث :

١- رسم المنهج الواضح والبرامج المناسبة لمواجهة الفتن، وكيفية التعامل معها، عـلى ضـوء الأحاديـث والآثـار الـواردة فيهـا، وتـوطين الـنفس عـلى وقـوع الفـتن، والاسـتعداد لهـا، ومعرفة أسبابها ودواعيهـا، وطـرق النجـاة منهـا؛ فحبيبنـا ﷺ أخبر بما هو كائن من الفتن إلى يوم القيامة، وبتفاصـيل دقيقـة، وأن حدوثها سنة الله في خلقه؛ وعلمنا طـرق النجـاة، وكيفيـة درء الفتنة ومقاومتها، وأنها من القدر الـذي يُـرَدُّ بالقـدر، ولا شك أن هذا يدل على كمال رحمته، وبالغ شفقته على أمته؛ لكـي يُعدُّوا للأمر عُدته، ويكونوا على بصيرة في اتخاذ سـبل الوقايـة، واختيار طريق العلاج.

٢ - من خلال النظـر في أحاديـث الفـتن الثابتـة والمبيِّنـة بتفصيل دقيق لمجرياتها وعلاجها فيجب عـلى القـادة والعلـماء والرواد والمفكرين..في العالم الإسـلامي أن يخططـوا للخـروج من الأزمة، وأن يدرسوا الوضع من كل جوانبه دراسـة شـاملة تضع حلولاً ناجعة للمشكلة، وأن يبثوا بين الناس فقـه الواقـع ووعيه، ورؤيته كما هو دون مبالغة وتهويل أو خداع وتـضليل؛

لأن تشخيص الداء أول خطوة في سبيل العلاج، وإذا عُرف الداء سهل علاجه، فما وصل إليه حال الأمة - بسبب تفرق أهلها وغفلتهم عما يُراد لها..وما يكيد لها أعداؤها.. - يتطلَّب منا أن نكون على مستوى التحديات والأحداث .

٣ - علينا أن نتخذ التفاؤل في الشدائد والأزمات منهجًا لنا، نتربى عليه، ونربي عليه أجيالنا، كما كان حال قدوتنا ﷺ في الأزمات، فمن تأمل في أحواله ومواقفه ﷺ في غزواته - خاصة الخندق منها - عرف هذا الدرس جيدًا؛ فديننا دين يكره التشاؤم ويمقته، ويحب الفأل ويدعو إليه، مهما كانت الأوضاع، وادلهمت المصائب، واكفهرت الخطوب، واشتدت الفتن، وكشرت عن أنيابها المحن . فالتفاؤل يدفعنا إلى التفاعل.

٤ - تربية الأجيال على اليقين التام والاعتقاد الجازم بأنه لا يوجد في الكون شر محض لا خير فيه أبدًا، فكل شيء خُلِقَ لعلة وغاية وحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]. فصفة " الحكيم " الثابتة لله - سبحانه - بالكتاب والسنة وإجماع الأمة

(١) سورة الدخان :[٣٨ —٣٩].

تأبى أن يخلق الله شيئًا عبثًا، ويُوجده سدًى .

ومن ذلك وقوع الفتن، والفواجع والمحن، والافتراق بين هذه الأمة، فهو أمر مكتوب مقدر، إلا أنها لا تخلو من الحكم والفوائد .

٥- على الدعاة والمصلحين خاصة التواصي بالتدرج والواقعية في الإصلاح والتربية وحل المشاكل، وفق خطة محكمة مدروسة، تحسب لكل شيء حسابه؛ بعيدًا عن الارتجالية والعفوية والاستعجال المبني على مجرد الحماس الذي كثيرًا ما يأتي بنتائج عكسية؛ فالمنبت لا يقطع أرضًا ولا يُبقي ظهرًا؛ فما وصلنا إليه من حال ليس وليد يوم وليلة..، بل هو نتيجة لغفلات..، وأوضاع سيئة وأخطاء متراكمات..، وإذا كان النزول قد تدرَّج فكيف بالعروج والبناء الذي هو أصعب وأشق ولا شك؟! فهذا مدخل رئيس ومهمّ في التعامل مع مجريات أحداث الفتن والمتغيرات فعلى كل مصلح أن يعيه وعيًا تامًّا، ويضعه نصب عينيه، وأن يوصي به على الدوام .

٦ – علينا أن نستثمر كل الوسائل المشروعة بغرس الاعتزاز بدين الإسلام، خاصة في نفوس النشء والشباب، فهو الرسالة الأخيرة الخالدة من السماء للبشرية؛ ويبقى مشاعل ومنارات هداية للبشرية بقاء الدنيا . وأن نغرس لدى المسلمين اليقين بأنه وإن خبا نور دينهم، وخفت وميضه، لكنه

لا يطفأ ويصير ظلامًا أبدًا؛ فهو كالغيث لا ينقطع عنه الخير، وإن أفل نجمه في جهة طلع من جهة أخرى، وإن جفَّ جانب اخضرَّ جانب آخر؛ فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] .

٧- على علماء الأمة الإسلامية وعقلائها المبادرة بصيانة التشريعات الإسلامية ورعايتها وتقنينها تقنينًا عالميًّا، عبر المؤتمرات والمجامع الفقهية العالمية، ويتوجب هذا العمل خاصة أن العالم اليوم تدار أموره بانتقائية مقيتة، وازدواجية في المعايير! ويتحكم في مصيره القوى المهيمنة العالمية الكبرى، تحركهم مصالحهم، وتقودهم مطامعهم وجشعهم، وشعارهم أن الغاية تبرر الوسيلة .

٨- على الجميع الاجتهاد والدأب في العمل، بصبر ومصابرة؛ وبتفان ومثابرة، فالمسلم الذي يحمل هموم دينه وأمته لا يملك إزاء ما آل إليه الوضع إلا أن يكثف جهده، ويوظف كل طاقاته لرأب الصدع، وجمع الكلمة، وتوحيد الصف، ويبذل كلَّ ما بوسعه لنصرة هذا الدين، وإعلاء كلمته، حسب قدرته وإمكانياته، ومن موقع نفوذه وتخصصه، ويسد الثغر الذي هو فيه.

---

(١) سورة الحجر :[٩].

٩- تعليم أنفسنا وأجيالنا الصبر واليقين، والتسلح بهما في مواجهة فتنتين عظيمتين وخطيرتين على الإطلاق: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات؛ فكل ضلال في الدين ينشأ عنهما، ويرجع إليهما؛ فبالصبر والإيمان نتغلب على فتنة الشهوات، وبالعلم واليقين ننجو من فتنة الشبهات .

فإذا سلم العبد من هاتين الفتنتين حصل له أعظم غايتين مطلوبتين، يتم بهما صلاحه وفلاحه وكماله، وهما: الهدى والرحمة ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

فتنة الشبهات تنشأ عن قلة العلم وضعف البصيرة.

وطريق النجاة منها هو تجريد اتباع الرسولﷺ، وتحكيمه في كل الأمور، دقها وجلها .

وفتنة الشهوات تنشأ عن الهوى، وتغييب سلطان العقل والهدى، وتغليب العاجل على الآجل، وطريق النجاة منها هو الصبر .

١٠- تربية الأجيال على الرجوع إلى الأمر الأول، على ضوء فهم السلف الصالح لنصوص الوحيين، فلن يصلح آخر

(١) سورة يونس :[٥٧].

هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فمن منة الله الكبرى علينا أن أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، وابتعث نبينا محمدًا ﷺ، فميز طريق الرشد والهداية عن طريق الضلال والغواية، فأخبر ﷺ - وهو الصادق المصدوق - أن العافية جُعلت في أول هذه الأمة، وأن البلاء واقع لا محالة في آخرها، وأن الخلاص يكمن في الاستمساك بحبل صادق خالص ومتين من الدين، ولزوم هدي سيد المرسلين وخلفائه الراشدين، ومن سلك سبيلهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

١١ - السعي الجاد الحثيث من حملة هذه الرسالة الحقة بإيصال هذا النور المبين للجميع، بلغاتهم وعبر وسائلهم وقنواتهم، وبكل طرق الاتصال والخطاب والحوار، وبالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يملك الحلول الناجحة الناجعة لما آلت إليه أوضاع البشرية من انحطاط وترد في الأخلاق والقيم..، وتقديس المادة، وإنكار ما وراءها، أو إهمالها؛ فهو دين شامل ومنهج كامل؛ لأنه رباني المصدر، وله رؤيته المتزنة المتسقة المنسجمة مع الكون والحياة والإنسان، والمشكلة تكمن في تشويه صورته، والسعي للحيلولة دون فهمه الفهم الصحيح من قِبَل أعدائه.

فهرس المصادر والمراجع(١)

١- القرآن الكريم .

حرف الهمزة :

٢- الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، (ت: ٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط:١، (١٤٠٩هـ)، دار الراية، الرياض.

٣- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي (الشهير بمرتضى)، مؤسسة التاريخ العربي، (١٤١٤ هـ)، بيروت .

٤- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، (ت: ٧٣٩هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، ط:١، (١٤٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- الأسماء والصفات، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط:١، (١٤٠٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان .

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط:١، (١٤٢٦هـ). دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة .

٧- الاعتصام ، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، (ت:٧٩٠ هـ)، دار المعرفة، (١٤٠٦هـ)، بيروت.

---

(١) رُتِّب هذا الفهرس حسب الحروف الهجائية دون اعتبار (أل) التعريف المصدَّر بها اسم الكتاب .

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر (المعروف بابن القيم الجوزية) (٦٩١-٧٥١هـ)، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، (١٩٧٣م)، بيروت.
٩- إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر (المشهور بابن القيم الجوزية)، (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت .

حرف البــاء :

١٠- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، (٧٠٠- ٧٧٤ هـ)، ط:٦، (١٤٠٥هـ)، مكتبة المعارف .

حرف التــاء :

١١- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، (ت: ٦٥٦هـ)، إشراف: د محمد الصباح، دار مكتبة الحياة (١٤٠٧هـ)، بيروت .
١٢- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير،(٧٠٠- ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، دار الشعب، القاهرة .
١٣- تقريب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٧٧٣- ٨٥٢ هـ)، تقديم ودراسة: محمد عوامة، ط:١،(١٤٠٦هـ). دار الرشيد، سورية.
١٤- تهذيب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ)، ط :١، دائرة المعارف النظامية، الهند (١٣٢٥ هـ) .

حرف الجيم :

١٥- جامع البيان في تفسير القرآن، لإمام المفسرين أبي جعفر محمد بن

جرير الطبري، (ت:٣١٠هـ)، ط:١، (١٣٢٩هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ودار المعرفة، بيروت، لبنان .
١٦- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط:١، (١٤١٤هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية .
١٧- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (٢٠٠- ٢٧٩هـ)، ط: ٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض.
١٨- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين (المشهور بابن رجب الحنبلي)، ط:١، (١٤٠٨ هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
١٩- الجامع لشعب الإيمان، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، ط: ١، (١٤٠٧هـ)، الدار السلفية، بومباي، الهند .
٢٠- الجرح والتعديل، للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، (ت: ٣٢٧ هـ)، دائرة المعارف النعمانية، الهند، (١٢٧١ هـ) .

حرف الحاء :

٢١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حرف الدال :

٢٢- الدعاء، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: د. محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، ط: ١، (١٤٠٧هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت .

٢٣- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، (١٣٩٧ هـ)، بيروت .
حرف الراء :
٢٤- الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠- ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمد الحاج أمرير، ط:١، (١٤٠٥هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.
حرف الزاي :
٢٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (المشهور بابن القيم الجوزية)، (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط: ٨، (١٤٠٥ هـ)، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية .
حرف السين :
٢٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحدث العصر محمد ناصر الدين الألباني، ط :٤، (١٤٠٥هـ)، المكتب الإسلامي .
٢٧- سلسلة رسائل الغرباء الأولين، لسلمان بن فهد العودة، ط: ٤، (١٤٢١ هـ)، الناشر: مركز الصديق العلمي، توزيع: مكتبة دار القدس، الجمهورية اليمنية .
٢٨- السنة، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، (ت: ٢٨٧هـ)، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، ط:١، (١٤٠٠هـ)، المكتب الإسلامي .
٢٩- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد بن ماجه، (٢٠٩- ٢٧٣هـ)، ط: ٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض .

٣٠- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، (٢٠٢-٢٧٥هـ)، ط: ٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض .
٣١- سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، (١٨١ – ٢٥٥ هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العليمي، ط:١، (١٤٠٧ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت .
٣٢- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني(ت: ٧٤٥هـ)، دار المعرفة ، بيروت .
٣٣- السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (٢١٥-٣٠٣هـ)، تحقيق: د . عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. ط:١، (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية .
٣٤- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، ط:٩، (١٤١٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت .

حرف الشين :

٣٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، (ت: ٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض.
٣٦- شرح السنة، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (٤٣٦-٥١٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، ط:٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي .

٣٧- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، (ت: ٣٦٠)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط:١، (١٤٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
٣٨- شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، تأليف أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جرار، سلسلة من خمسة أجزاء صغيرة، ط:١، (١٣٩٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت .

حرف الصاد :

٣٩ - صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (١٩٤-٢٥٦هـ)، ط:٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض .
٤٠- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٤-٢٦١هـ)، ط: ٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض .
٤١- صحيح سنن أبي داود، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط:١، (١٤٠٩هـ)، مكتب التربية العربي لدول الخليج .
٤٢- صحيح سنن الترمذي، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط:١، (١٤٠٩هـ)، مكتب التربية العربي لدول الخليج .
٤٣- صحيح سنن ابن ماجه، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط:١، (١٤٠٩هـ)، مكتب التربية العربي لدول الخليج .
٤٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط:٢، (١٤٠٦هـ)، المكتب الإسلامي .

حرف الضاد :

٤٥- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط:١، (١٤٠٤هـ)، دار

الكتب العلمية، بيروت .

حرف العين:

٤٦- عمل اليوم والليلة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري (المعروف بابن السني)، (ت: ٣٦٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت .
٤٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي عبد الرحمن شرف الحق، الشهير بمحمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علقة، ط: بيت الأفكار الدولية، في مجلد واحد ضخم، عمان ، الأردن .

حرف الفاء :

٤٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٧٧٣- ٨٥٢هـ) دار المعرفة، بيروت، لبنان.

حرف الكاف :

٤٩- الكامل في ضعفاء الرجال، للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ)، ط: ٣، (١٤٠٩هـ)، دار الفكر، بيروت .
٥٠ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، (ت:٩٧٥ هـ)، بعناية: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٩ هـ).

حرف اللام :

٥١- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر ، بيروت .
٥٢- لسان الميزان، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

(٧٧٣- ٨٥٢هـ)، ط:٢ ، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٥٣- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي، (الشهير بابن رجب الحنبلي)، (٧٣٦ -٧٩٥)، ط:٢، (١٤١٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان .

حرف الميم :

٥٤- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٢٦٠- ٣٦٠)، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، ط:٣، (١٤٠٤هـ)، دار الفكر، لبنان .
٥٥- مختصر سنن أبي داود، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، (ت: ٦٥٦هـ)، ومعه معالم السنن لأبي سليمان الخطابي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت .
٥٦- مجموع فتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، ط: ٢ ، (١٣٩٩ هـ).
٥٧- مشكل الآثار، للحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الحنفي الطحاوي، (ت: ٣٢١هـ)، ط:١، (١٣٣٣هـ)، دار الصادر، بيروت .
٥٨- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي .
٥٩- المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (١٤١٥هـ)، دار

الحرمين ، القاهرة .
٦٠- المعجم الصغير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٣هـ).
٦١- المغني في الضعفاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: نور الدين عتر .
٦٢- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (ت: ٨٠٦)، المطبوع في حاشية إحياء علوم الدين، ط: (١٤٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت .
٦٣- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، (ت: في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ص:٢، (١٤١٨هـ)، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت .
٦٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبو بكر الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ) ط:٣، (١٤٠٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٦٥- المستدرك على الصحيحين، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، وبذيله: التلخيص للحافظ الذهبي، بإشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
٦٦- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، دار الفكر العربي .
٦٧- المسند ، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، تحقيق وشرح: أحمد شاكر .
٦٨- مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود، (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، ط:١،

(١٤٢٠هـ) دار هجر، جيزة، مصر .
٦٩- مسند الروياني، للحافظ أبي بكر محمد بن هارون الروياني، (ت: ٣٠٧هـ)، ضبط وتعليق: أيمن علي أبو يماني، ط: ١، (١٤١٦هـ)، مؤسسة قرطبة .
٧٠- مسند أبي يعلى الموصلي، لأحمد بن علي بن المثنى التميمي (٢١٠-٣٠٧ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط:١، (١٤٠٤هـت) دار المأمون للتراث، دمشق .
٧١- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر الكناني البوصيري، (ت: ٨٤٠هـ)، دراسة وتقديم: كمال يوسف الحوت، ط:١، (١٤٠٦هـ)، دار الجنان، بيروت، لبنان .
٧٢- المصنف، للإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني .
٧٣- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام يحيى بن شرف النووي(٦٣١-٦٧٦) تحقيق:عصام الصبابطي، حازم محمد، عماد عامر، ط:١، (١٤١٥هـ) دار أبي حيان.
٧٤- الموطأ ، للإمام مالك بن أنس، بتصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية .

حرف النون :

٧٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (الشهير بابن الأثير)، (ت: ٥٤٤-٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت .

(سيرة ذاتية مختصرة للمؤلف)

() الاسم الرباعي :

- د. إبراهيم بن عبد الله بن صالح الدويّش.

() الميلاد :

- من مواليد محافظة الرس، بمنطقة القصيم، في المملكة العربية السعودية، عام ١٣٨٤هـ .

() الدراسة والمؤهلات :

- درس البكالوريوس قي قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض .
- حصل على الماجستير (بامتياز) في السنة وعلومها من قسم السنة بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تحقيق وتخريج ودراسة جزء من أحاديث مسند أبي داود الطيالسي.
- حصل على درجة الدكتوراه من نفس القسم (بامتياز) في تخريج ودراسة أسانيد أحاديث وآثار جزء من مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله .

() العمل والنشاط :

- داعية معروف، وخبير في الشؤون الأسرية والزوجية .
- له مشاركات كثيرة في المحاضرات والندوات والمؤتمرات المحلية والعالمية .
- يعمل أستاذًا مساعدًا في قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين بالرس .
- مؤسس ورئيس مركز رؤية للدراسات الاجتماعية والبحوث

الشرعية، وهو أول مركز غير ربحي للدراسات الاجتماعية في المملكة العربية السعودية .

- عضو في الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية .
- عضو في مجلس الإدارة لعدد من الهيئات والمؤسسات الخيرية .
- له أكثر من ستين مادة علمية مسجلة مطروحة بالأسواق .
- له عدد من الكتب والمؤلفات .
- له كثير من المشاركات التلفزيونية والصحفية .
- إمام وخطيب في جامع الملك عبد العزيز في الرس، ويدرّس بالجامع عددًا من الكتب والمتون العلمية الأسبوعية .
- تلقى عددًا من الدورات التدريبية في الداخل والخارج في العلوم الإنسانية والتربوية، وألقى عدداً من الدورات التدريبية فيها .
- حصل على جائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي عام ١٤٢٤هـ، ونال الكثير من الأوسمة وشهادات التقدير .

الفهـرس

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة	٥
٢	تمهيد	١٣
٣	مدخل مهمٌّ في التعامل الأمثل مع الفتن والأزمات	٢٧
٤	الفصل الأول : الفتن (معناها، وأنواعها) وفيه خمسة مباحث :	٣٣
٥	المبحث الأول : معنى الفتنة	٣٣
٦	المبحث الثاني : الفتنة في القرآن	٣٧
٧	المبحث الثالث : الفتنة في السنة	٤٠
٨	المبحث الرابع : أنواع الفتن وأخطرها	٤٤
٩	المبحث الخامس: الفتنة العمياء الصماء	٥٠
١٠	الفصل الثاني: فيه ذكر طائفة من الأخبار الواردة فيما هو كائن من الفتن، وفيه مبحثان :	٥٩
١١	المبحث الأول : كمال شفقته ﷺ على أمته	٥٩

١٢	المبحث الثاني : معرفة الفتن المستقبلية للتخطيط والاستعداد	٦٩
١٣	الفصل الثالث : فوائد وحكم من وقوع الفتنة، وبعض النصوص الواردة فيها	٧٤
١٤	الخاتمة	٩٩
١٥	فهرس المصادر والمراجع	١٠٥
١٦	سيرة مختصرة للمؤلف	١١٥
١٧	فهرس الموضوعات	١١٧